عمر بن الخطاب

في توجيهه للأدب والنقد الأدبي

— ٣ —

الدكتور جميل سعيد

استاذ بكلية الآداب — جامعة بغداد

عمر والكلام البليغ

وعمر يعجبه الكلام البليغ الحسن اللائق في موقعه . وقد ينظر الى الرجل ويراه ضئيلاً دميماً ، وعمر يعجبه من الرجل ان يكون ضخماً ذا مهابة ، قالوا : وكان اذا نظر الى عمرو بن معد يكرب ، وكان الرجل ضخماً كالجمل في جسامته ، قال : الحمد لله الذي خلقنا وخلق عَمْراً » تعجّباً من عظم خَلْقه (١) ، وشكراً لله . نقول : كان يعجبه الرجل الضخم المهيب ، وتتجافى نفسه عن الرجل الضئيل الدميم ، وما هو إلاّ ان يتكلّم الرجل الضئيل الدميم ويعجب عمر بكلامه حتى يغيرّ عمر رأيه فيه، وينظره بغير العين التي نظره بها . نظر الى علباء (٢) بن الهيثم السدوسي ، وكان علباء اعور دميماً ، فلم يعجب عمر منظره . وكلّمه علباء ، وكان بارعاً بيّناً . فلما رأى براعته وسمع بيانه راح يصعّد بصره فيه ويُحدره ؛ كأنه يتعجّب من منطقه ، فلما خرج علباء ، قال عمر :

« لكل اناس في جُمَيْلهم خُبْرُ »

وهذا البيت تمثّل به عمر هو الشطر الثاني من البيت :

فآليت لا اشرى بعيراً بغيره ... لكلّ اناس في جميلهم خبرُ

---

(١) الأغاني ١٥/٢١٣ .

(٢) علباء بن الهيثم السدوسي : شجاع من الفصحاء ، شهد الفتوح في عهد عمر ، وسكن الكوفة ، وكان سيداً بها . وهو اول من دعا الى علي بن ابي طالب ، واستشهد في وقعة « الجمل » . الإصابة ؛ ت : ٦٤٥١ .

وهكذا تراه غيّر رأيه في الرجل حين اعجبه منطقه(١) .

ويقول الجاحظ (٢) : « ونظر عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — الى هَرِم (٣) ابن قُطْبَة، ملتفاً(٤)في بت في ناحية المسجد ،ورأى دمامته وقلّته في منظره . وكان يعرف تقديم العرب له في الحكم والعلم ، فأحبّ ان يكشفه ويسبر ما عنده ، فقال : أرأيتَ لو تنافرا اليك اليوم ، أيّهما كنت تنفر ؟ يعني : علقمة (٥) بن عُلاثة وعامر بن الطُّفَيل(٦) ، فقال : يا امير المؤمنين .لو قلت فيهما كلمةً لأ عدتها جَذَعَة . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد اعجبته بداهته : « لهذا العقل تحاكمت العرب اليـــك »

ويقول الجاحظ (٧) ايضاً : « ونظر عمر الى الأحنف وعنده الوفد (٨) ،والأحنف(٩) ملتف في بتّ له ، فترك جميع القوم واستنطقه فلما تبعّق منه ما تبعّق (١٠) ، وتكلّم بذلك الكلام البليغ المصيب ، وذهب ذلك المذهب لم يزل عنده في علياء . ثم صار الى أن عقد له الرياسة ثابتاً له ذلك الى ان فارق الدنيـــا »

---

(١) انظر الجاحظ ؛ في « البيان والتبيين » ؛ ١/٢٣٨ .

(٢) انظر الجاحظ ؛ في « البيان والتبيين » ؛ ١/٢٣٧ .

(٣) هرم بن قطبة بن سيار الفزارى : من قضاة العرب في الجاهلية . اسلم في عهد النبي وثبت في الردة . كان من الخطباء البلغاء ، والحكام الرؤساء . وكان اذا حكم بين الخصمين او المتنافرين سمع في كلامه « الأعلام للزركلى » .

(٤) البت : كساء غليظ مربع .

(٥) علقمة بن علاثة بن عوف الكلابى العامري . كان في الجاهلية من اشراف قومه . قالوا : وفد على قيصر . ونافر عامر بن الطفيل . واسلم ثم ارتد في زمن ابى بكر .... وعاد الى الإسلام . ولاه عمر « حوران » فنزلها الى أن مات . وكان كريماً . للحطيئة قصيدة في مدحه . الزركلي : ٥/٤٨ . والإصابة ؛ ت : ٥٦٧٧ .

(٦) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري : فارس قومه واحد فتاك العرب وشعرائهم . ولد ونشأ بنجد ، وادرك الإسلام شيخاً . وفد على الرسول الكريم فدعاه الى الاسلام فاشترط ان يجعل له نصف ثمار المدينة وان يجعله ولي امره من بعده ، فرده الرسول الكريم — فمات في طريقه قبل ان يبلغ قومه . الأعلام — للزركلي : ٤/٢٠

(٧) البيان والتبيين : ؛ ١/٢٣٧ .

(٨) الوفد : هو وفد اهل العراق ؛ البصرة والكوفة . وخبر هذا الوفد ، وبه حديث الأحنف في كتاب العقـد الفريد لابن عبد ربه ؛ ج : ٢ ص : ٦٤ .

(٩) الأحنف : هو الأحنف بن قيس : سيد تميم ، واحد العظماء الشجعان الفاتحين . يضرب به المثل في الحلم . شهدالفتوح في خراسان . وفد على عمر في المدينة ، وتكلم عنده ... فقال عمر : هذا والله — السيد !هذا والله السيد ! . قال الأحنف : فما زلت اسمعها بعد . وتوفي سنة : ٧٢ هـ .

(١٠) تبعق ؛ في القاموس : « الانبعاق : ان ينبعق عليك الشيء فجأة وانت لا تشعر . وانبعق المزن : انبعج بالمطر . وانبعق في الكلام : اندفع فيه ، كتبعق واتبعق » .

ويبدو ان الجاحظ اهمل ايراد حديث الأحنف هذا ، لشهرته بين الناس ، وان الجاحظ نفسه كان معجباً بحديث هؤلاء الثلاثة . وحسبك من اعجابه بحديث الأحنف أن يقول في وصفه : « فلما تبعّق منه ما تبعّق وتكلّم بذلك الكلام البليغ المصيب ... » ولعلّ الجاحظ لم يجد ابلغ من عبارته هذه في إطراء كلام الأحنف هذا .

ورووا أنّ عمر سمع قول طرفة بن العبد (١) ، وقد بيّن اموراً ثلاثة هي التي تحبّب اليه الحياة ، ولولاها لم يحفل متى قام عُوّده عنه ، ومات ، سمع قوله :

ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى
وجدّك لم احفل متى قام عُوّدى (٢)
فمنهنّ سبقي العاذلات بشربة
كميت متى ما تعلَ بالماء تُزبد
وكرّي اذا نادى المضافُ مُحنّباً
كسيد الغضا نبّهته المتورّد
وتقصير يوم الدجن ، والدجنُ مُعجبٌ
ببهكنة تحت الطّراف المعمّد

فقال عمر ، حين سمع هذا اكراً ما يحبّب اليه الحياة : « لولا أني اسير في سبيل الله ، واضع جنبي في التراب ، واجاور قوماً يلتقطون طيّب القول كالملتقط طيّب الثمر لأحببت أن اكون قد لحقت بالله » (٣) . هذا هو مقام الكلام الجميل عنده ، وهو واحد من امور ثلاثة هي احبّ ما في الحياة اليه .

وتقرأ سيرة المسلمين الأوائل ، ولا تكاد تجد بينهم من اسلم على النحو الذي اسلم عليه عمر .. كان — رضى الله عنه — من اشد المعاندين للاسلام والمسلمين ، وما هو

---

(١) ابن الجوزي ؛ سيرة عمر بن الخطاب ؛ ص : ١٦٣ .

(٢) شرح القصائد العشر — للتبريزي ؛ ص : ٣٤ طبعة كارلس لايل . قام عودى ؛ عوده : من يحضر عند موته في مرضه وينوح عليه . والكميت من الخمر : التي تضرب الى السواد في لونها . ومتى ما تعل بالماء تزبد : اي متى ما تمزج به تزبد ؛ لأنها عتيقة . والمضاف : من اضافته الهموم . والمجنب : فرس اقنى الذراع ؛ وهي من صفات الجيد من الخيل . والسيد : الذئب . والغضا : شجر ، وذئابه اخبث الذئاب . ونبهته : هيجته . والمتورد : الذي يطلب أن يرد الماء .

والدجن ؛ قيل هو الندى والمطر الخفيف ، وقيل : هو الباس الغيم السماء . والبهكنة : الجارية التامة الخلق . وتحت الطراف ؛ ويروى : تحت الحباء . والمعمد : اي ذى العمد .

(٣) ابن الجوزي ؛ ص : ٩ .

الا ان استمع للقرآن الكريم حتى فعل في نفسه ما لا يفعله السحر . يروون عنه انه قال : « خرجت اتعرّض رسول الله صلى الله عليه وسلم — قبل ان اسلم — فوجدته قد سبقني الى المسجد فاستفتح « الحاقّة » فجعلت اتعجّب من تأليف القرآن ، : قال : والله هذا شاعر كما قالت قريش ، قال : فقرأ : « إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر ، قليلاً ما تؤمنون » قال : « فقلت : كاهن » ، قال : « ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكّرون ، تنزيل من رب العاملين » ... الى آخر السورة قال : فوقع الإسلام في قلبي » (١) .

ولك ان تنظر في تعبيره : « خرج يتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم » يريد ان نفسه حميت بل غليت بالعداوة للرسول الكريم وللإسلام ، حتى خرج يتعرّض للرسول — صلوات الله عليه — ويبدو انه كان يعرف اين يلقاه ، فقصد المسجد لعلمه انه سيلقاه هناك .

وتنظر في حديثه حين سمع الرسول الكريم قد استفتح « بالحاقّة » قد اخذته روعة القرآن ، ونسيَ انّه إنما خرج ليتعرّض للرسول الكريم ، قالوا : « فسكت وخنس حتى اتمّ الرسول الكريم السورة ، اوكاد » .

ويروون في سبب اسلامه روايات اخرى (٢) منها : انه قرأ صدراً من سورة « طه» عند اخته فاطمة ، وكانت اسلمت هي وزوجها قباله — حتى اذا انتهى الى قوله تعالى : « ... إنني انا الله لا اله إلاّ انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى » قال : دلّوني على محمد! ولا نعجب ان نراه يؤخذ بتأثير هذه السورة الكريمة التي تبدأ بحرفين منقطعين هما : طا — ها ؛ يقرعان السمع بنغم يتّسق مع نغم السورة في فواصلها ، ويوحيان بشيء من الغموض يبهت السامع ويوقفه موقف المنصت المتحيّر ، المنتظر لما يجيء بعدهما مما عساه يكشف للسامع بعض هذا الغموض المحيّر ... ثم يجيء بعدهما ما يعذر القارئ على خشوعه وحيرته من هذا القرآن الذي سمع . إنه تذكرة لمن يخشى وانه تنزيل ممن خلق الأرض والسموات العُلى ... وايّ عظمة وراء هذه العظمة !؟ . لقد مرّ بنا ان نفس

---

(١) انظر سيرة ابن هشام : ٣٦٤/١ ، وابن الجوزي ؛ في : « سيرة عمر بن الخطاب » ؛ ص : ٩—١٣ .
(٢) انظر مقالنا السابق عن « عمر بن الخطاب في سيرته الأدبية ، في المجلد السادس والعشرين .

عمر يعجبها العظيم الشجاع من الناس ، وقد اعجبته خلقة عمرو بن معد يكرب ؛ لعظمته وشجاعته ، فكيف بإعجابها بهذا العظيم الذي خلق الأرض والسموات العُلى !؟ . ثم انظر الى هذا العظيم الذي كانت الرحمة اولى صفاته ، وأنّه « الرحمن » . وصفة الرحمة هذه هي الصفة التي يحبّها عمر . ونحن نقرأ اخبارها في سيرته من أول حياته ، الى ان فارق الدنيـــا . . .

ثم تتوالى الآيات بمعان تفصيلية تزيد في صفات هذا الرحمن الجبّار قوةً وجلالاً « له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى » ثم يزيد سبحانه — بأنه فوق أن يملك كلّ شيئ ، انه عالم بما في النفوس ؛ انه عالم بالسّر وما هو اخفى من السرّ « وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ وأخفى » ... ثم وراء هذا انّ صفة الألوهيّة قد اختصت به وحده . ثم تأخذ السورة الكريمة بقصص يأخذ السامع بما فيه من حيرة موسى ، وبعظمة الله جلّ جلاله ... ولعلّ عمر رأى في حيرة موسى شبيهاً بحيرته .. قالوا : حتى اذا بلغ من التلاوة : « إنني انا الله لا اله الا انا فاعبدني » صاح : دلّوني على محمد ! فقال له خبّاب(١) بن الأرتّ — وكان معهم — هو في بيت عند الصفا ، معه نفر من اصحابـــه (٢) .

عمر والقرآن

وكان عمر يحفظ القرآن . وكان حفّاظه قريبين من نفسه . « وعن الزهري : كان جلساء عمر اهل القرآن ؛ كهولاً كانوا او شبّاناً »(٣) وفي العقد الفريد (٤) : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « ايها الناس تعلّموا كتاب الله تعرفوا به ، واعملوا به ، تكونوا من اهله » . وكتب الى سعد بن ابى وقّاص يوم القادسيّة ان يعطي الناس على قدر حفظهم من القرآن . ويبدو ان بعض المسلمين ، ممن أبلى البلاء الحسن في الحرب ، كان دون غيره في حفظ القرآن الكريم ، ومن هؤلاء عمرو بن معد يكرب . قالوا : قال له سعد : ما معك من حفظ القرآن ؟

---

(١) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي . اسلم سادس ستة ، وهو اول من اظهر اسلامه . شهد المشاهد كلها ونزل الكوفة ، ومات بها وهو ابن ٧٣ سنة . روى له البخاري ومسلم ٣٢ حديثاً .

(٢) سيرة ابن هشام ؛ ٣٦٧/١ . وابن الجوزي ؛ ص ١٣ .

(٣) ابن الجوزي ؛ ص : ١٦٤ .

(٤) العقد الفريد ؛ لابن عبد ربه ؛ ٢٢٢/٢ .

قال : إني اسلمت ثم شغلت بالغزو عن حفظ القرآن . قال : إن امير المؤمنين كتب اليّ أن اعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن ، فقال : عمرو محتجاً :

لئن قُتِلنا ومـا يبكى لنـا احـدٌ
قالت قريش : ألا تـلك المقاديـر
نُعطى السويّـة في طعن لـه نفذٌ
ولا سويّة اذ تُعطى الدنـانـير !؟

قيل : وأتاه بشر بن ربيعة ، فقال له سعد : ما معك من حفظ القرآن ؟ قال : معي بسم الله الرحمن الرحيم . فضحك القوم منه ، وقال سعد : ما لك في هذا المال من شيئ ولا من نصيب (١) .

وكتب سعد بهذا ، وبأبيات عمرو الى عمر ، فكتب اليه عمر : ان يعطى الناس على مقاماتهم في الحرب (٢) ايضاً .

عمر والشعر وعمر يعدّ التفقّه بالدين والقرآن في المقدّمة عنده . وقد بيّنا ان هذه الناحية هي التي استولت على تفكيره ، وصبغته بصبغتها ، فهو لا يحبّ من الأمور الا ما أمر به الإسلام ، ولا يحبّ من القول الا ما وافق القرآن وروح الإسلام .

وكان بعد هذا يرى الثقافة العملية ، ولا سيمّا ما كان منها متعلّقاً بالجهاد والحرب ، اولى الثقافات الواجبة التعلّم والتعليم . وقد كتب الى الأمصار : « اما بعد فعلّموا اولادكم العوم والفروسيّة ، وزوّدوهم ما سار من المثل وحسن من الشعر (٣) فتراه يبدأ ، من الناحية العملية بأولاها بالتعلّم لهم ؛ فالعرب عامة يحسنون ركوب الخيل في صحرائهم ، لكثرة معاشرتهم لها ، وكثرة غاراتهم وحروبهم . اما السباحة فحظهم منها ليس بذاك ؛ لقلّة انهارهم ، ولبعدهم عن البحار ، ولعدم احتياجهم اليها . فلما صاروا يحاربون الفرس والرومان على عهد عمر ، صارت السباحة من اولى حاجاتهم

(١) عيون الأخبار ؛ ١٢٩/١ .
(٢) العقد الفريد ٦٦/٢ .
(٣) البيان والتبيين : ١٧٩/٢ .

في الحروب . وقد احسن الحجّاج ابن يوسف ، حين قال لمعلّم ولده ، وكأنه يشرح له قول عمر هذا : « علّمْ ولدي السباحة قبل الكتابة ؛ فإنهم يصيبون من يكتب عنهم ، ولا يصيبون من يسبح عنهم » . اما الفروسيّة فقد جعلها عمر في المرتبة الثانية ؛ لأنها على اهميّتها الكبيرة — كانت في طبع العرب ، وهم يروون ان خالد ابن سعيد بن العاص ، قُتل حين غشيه العدو ، واراد الركوب فلم يستطيع ولم يجد من يحمله على فرسه (١) . وقد مرّ بنا ان عمر نفسه كان اذا اراد ان يركب جمع جراميزه وامسك باذن فرسه ، قالوا : فكأنّما خُلق على ظهره (٢) ويأتي بعد هذا عنده ما سار من المثل وحسن من الشعر . فالمثل السائر له اثره في المواقف مستحبّة وغير مستحبّة . واما ما حسن من الشعر ، فلا نشكّ ان حسنه وقبحه عند عمر منوطان بما يبيحه الدين . وكلٌّ مالا يبيحه الدين ، مهما حسن ، قبيح عند عمر .

ولا نشك في ان عمر — وهو يعني بالناحية العملية من التربية اولاً — يقدّم الشعر للفائدة ، ثم للمُتعة ؛ يقول « من خير صناعات العرب الأبيات يقدّمها الرجل بين يدي حاجته ؛ يستنزل بها الكريم و يستعطف بها اللئيم (٣) » ويقول : « الشعر جزلٌ من كلام العرب يُسكّن به الغيظ وتُطفأ به الثائرة ، ويتبلّغ به القوم في ناديهم ، ويُعطى به السائل » (٤) . فتراه في حديثه هذا يشير الى المتعة التي يحتويها الشعر ، مع اشارته الى الفائدة .

ولا نراه هنا تعلّل من امر المتعة في الشعر حين يجعلها تتلو الفائدة . وكيف يكون هذا ، وهو الذي يجد في الشعر متعته وسلوته وراحته . ولكننا نراه يسلك في حديثه هذا مسلكه في الحديث عن السباحة والفروسية . إنّه يدري أن الشعر متعة العرب ، بل لعلّه اولى مُتعهم ؛ لقد كان الشعراء الجاهليون يغشون الأسواق ، التي هي مجتمع الناس ؛ كسوق عكاظ والمجنّة في الجاهلية . وفي الإسلام صاروا يستمعون للشعر ، يستمتعون به في مجالسهم . وفي العقد الفريد : قيل لبعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) البيان والتبيين ؛ ٢٣/٣

(٢) البيان والتبيين ؛ ٢٤/٣

(٣) العقد الفريد ؛ ٢٨١/٥

(٤) البيان والتبيين ؛ ٣٢٠/٢

ما كنتم تتحدثون به اذا خلوتم في مجالسكم ؟ قال : « كنّا نتناشد الأشعار (١) » . بل كان المسجد من الأماكن التي يستمع بها المسلمون للشعر (٢) :

وفي طبقات ابن سعد قال جابر (٣) بن سمرة : جالستُ رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان اصحابه يتناشدون الأشعار في المسجد. وروى عن هشام بن (٤) عروة عن أبيه عن عائشة : ان الرسول الكريم بنى لحسّان منبراً في المسجد يُنشد عليه الشعر . ويروون أنّ كعب بن زهير أنشد قصيدته :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيّمٌ إثرَها لم يُفدَ مكبول

في المسجد ، وان اصحاب الرسول الكريم ، ضجّوا من نشوة ما عراهم من الاستحسان حين استمعوا الى مديحه للرسول صلّى الله عليه وسلم :

إنّ الرسول لنورٌ يُستضاء به
مهنّدٌ من سيوف الله مسلول

وانّ الرسول الكريم طلب اليهم أن يهدأوا ، ويستمعوا ... ويرى المتحدّثون عن قصيدة كعب هذه ، أنّه انما عنى عمر بن الخطّاب ، بقوله :

في فتيةٍ من قريش قال قائلهم
ببطن مكّة لمّا أسلموا : زولوا

نقول : ولعلّ من الأسباب ، بل من اهمّ الاسباب التي جعلت عمر يُعنى بالشعر ، ويوصى بروايته وحفظه أنّه رأى الرسول الكريم يُعنى به . وفي رواية انه صلى

---

(١) العقد الفريد ؛ ٣/٢١٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ؛ ١/٩٥ .

(٣) جابر بن سمرة بن جنادة : صحابي ؛ كان حليف بني زهرة . وله ولأبيه صحبة . نزل الكوفة . وابتنى بها داراً وتوفي في ولاية بشر على العراق. روى له البخاري ومسلم ١٤٦ حديثاً . الاصابة ؛ ت : ٢١٢ . وتهذيب التهذيب : ٢/٣٩ ، والأعلام — للزركلي : ٢/٩٢ .

(٤) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام . تابعي من أئمة الحديث ، من علماء المدينة ، ولد وعاش فيها . زار الكوفة ودخل بغداد وافداً على المنصور العباسي ، فكان من خاصته روى نحو اربعمئة حديث . وفيات الأعيان ؛ ٢/١٩٤ وتأريخ بغداد ؛ ١٤/٣٧ والزركلي — الأعلام ؛ ٩/٨٦ .

الله عليه وسلم استمع الى عمرو بن كلثوم وهو ينشد في سوق عكاظ ، قصيدته (١) :

ألا هُبّـي بصحنـك فاصبحينـا

ولا تبقـي خمـور الأنـدرينـا

وانه في مجلس الخزرج — بعد الإسلام — استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم : (٢)

أتعـرف رسـماً كاطّراد المذاهب

لعَمْرة وحشـاً غـير موقـف راكب(٣)

وانه استمع الى شعر اميّة بن ابي الصّلت (٤) . وفي رواية أنه اُنشد مائة قصيدة منه ، وانّه كان يستمع اليه ، ويقول — صلى الله عليه وسلّم — : « هيه ! » استحساناً لما يسـمع .

ونعود الى الحديث عن عمر فنقول : إنّ عمر كان ينظر الى الشعر بعين الإعظام لفائدته العملية ، ولمتعته وسلوته للنفوس ، ولحرص النبيّ الكريم على استماعه والإستزادة منه . وكان يقول : « ان الشعر كان علم قوم لم يكن لهم علم اصحّ منه » وكفى بهذا شهادة منه على قيمة الشعر وعلى رأيه فيه . ويُروى عنه قوله : « إن الإسلام جاء فتشاغلت العرب عن الشعر بالجهاد ، وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته » (٥) .

واراد عمر ان يجمع الشعر ، وخاصة هذا الذي قيل في الإسلام منه ، فكتب الى المغيرة بن شعبة ، ولعله كتب الى غيره ايضاً ، والمغيرة على الكوفة : « أنْ استنشد مـن

---

(١) الأغاني ؛ ٥٤/١١ .

(٢) قيس بن الخطيم بن عدى الأوسى : شاعر الأوس ، واحد صناديدها في الجاهلية . له اشعار كثيرة في وقائعهم مع الخروج أدرك الاسلام وتريث في قبوله فقتل قبل ان يدخل فيه . ومن الأدباء من يفضل شعره على شعر حسان — رضى الله عنه . الأغاني ؛ ١٥٤/٢

(٣) الأغاني ؛ ٧/٣

(٤) امية بن ابى الصلت . شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام . قالوا : إنه ادرك وقعة بدر ورثى مـن مات فيها ، وقالوا : إنه مات كافراً ايام حصار الطائف ولم يسلم . وكان ذلك في السنة الثامنة للهجرة . وهو اشد شعراء ثقيف . وشعره تغلب عليه الروح الدينية ، وهو يتحدث فيه عن الجنة والنار والبعث ... انظر « امية ابن ابى الصلت — حياته وشعره » لبهجة عبدالغفور الحديثي — طبعة وزارة الإعلام ببغـداد .

(٥) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى . والعقاد في كتابه : « عبقرية عمر » ص : ٢٨٨ .

قبلك من شعراء مصرك ، ما قالوا في الإسلام » (١) قالوا : « فأرسل المغيرة الى الأغلب العجلي (٢) ، فقال له : أنشدني ! فقال الأغلب :

أرجزاً تريد أم قصيدا
لقد طلبتَ هيّناً موجودا

ثم ارسل الى لبيد بن ربيعة ،وكان قد انقطع عن الشعر بعد اسلامه ،حتى رووا انه لم يقل في الإسلام إلاّ بيتاً واحداً ، هو :

الحمدلله أنْ لم يأتني أجلي
حتى لبست من الإسلام سربالا

ارسل اليه ، فقال لبيد : إن شئت ما عُفي عنه ؛ يعني ما كان في الجاهلية ! فقال المغيرة : لا ، أنشدني ما قلتَ في الإسلام . قالوا : « فانطلق لبيد فكتب سورةالبقرة في صحيفة ثم أتى بها ، وقال : ابدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر » .

وكتب المغيرة الى عمر بما كان من امرهما . وطبيعيّ أنّ عمر — على حبّه للشعر وعنايته به — سرّه موقف لبيد ؛ لإن عمر لا يعلو عنده على الاسلام والقرآن شيئٌ . قالوا : فكتب الى المغيرة ان ينقص من عطاء الأغلب خمسمائة ويجعلها في عطاء لبيد . فكتب إليه الأغلب: انتقص عطائي يا أمير المؤمنين أن اطعنك ؟! قالوا : فردّ عايه عطاءه وأقرّ ما زاده في عطاء لبيد . (٣)

هذا هو موقف عمر ، وهو الخليفة من الشعر عامة : يرى العناية به تلى العناية بالقرآن الكريم . وحسبنا بهذا منزلة للشعر عنده .

عمر وحفظه للشعر وكان عمر كثير الحفظ للشعر . وقد مرّ بنا انه استمع للنابغة الجعديّ ، وهو خليفة ، وحين أتمّ النابغة قصيدته في الإنشاد ، قال له عمر إنه طالما تغنّى بها خلف جمال الخطّاب .

---

(١) الأغاني ؛ ٣٦٩/١٥ .

(٢) الأغلب بن عمرو بن عبيدة .. من بني عجل من ربيعة : شاعر راجز معمر . ادرك الجاهلية والإسلام . توجه مع سعد غازياً فنزل الكوفة . واستشهد في واقعة نهاوند وهو اول من اطال الرجز . قال الآمدى : هو ارجز الرجاز . توفي سنة ٢١ هـ .

(٣) الأغاني ؛ ٣٧٠/١٥

ويبدو ان عمر كانت له ذاكرة سريعة الحفظ . لقد استمع في حرب احد ــ وقد غُلب المسلمون ــ لهند وهي ترتجز بهم فأثّر رجزها في نفسه . وفي الأغاني (١) : أن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قال لحسّان : يا ابن الفريعة (٢) لو سمعتَ ما تقول هند(٣) ! ورأيتَ اشرها قائمة على صخرةٍ ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعتْ بحمزة !؟ قال له حسّان : اسمعني بعض قولها اكنكموها . قال : فأنشده عمر بعض ما قالت ، فقال حسان يهجو هنداً :

أشــرتْ لكاعٍ ، وكان عــادتهــا
لؤمــاً اذا أشــرتْ مــع الكفــر

والأبيات كثيرة ، يفحش فيها حسّان ــ رضى الله عنه ــ ولعلّه ثارت ثائرته من رجز هند الموجع ، الذي اسمعه بعضه عمر .

ويقول ابن الأثير ، في الكامل (٤) في حديثه عن ردّة بنى عامر وهوازن وسليم ، وحربهم مع خالد بن الوليد ، يقول : « .. واما خبر ابى شجرة بن عبد العزّى السلمي وهو ابن الخنساء ، فإنه كان قد ارتدّ فيمن ارتدّ من سُليم ، قال حين ارتدّ :

صحــا القلــب عن ميٍّ هواه وأقصرا
وطاوعَ فيهــا العــاذلــين فأبصرا
الا أيُّهــا المــدلي بكــثرة قومــه
وحظّك منهــم أنْ تُضام وتقهــرا
ســلْ الناس عنّــا كلَّ يوم كريهةٍ
اذا مــا التقينــا دارعين وحُسّــرا

---

(١) الأغاني : ١٥/١٩٨ .

(٢) ابن الفريعة ؛ في القاموس : « وحسان بن ثابت يعرف بابن الفريعة ــ كجهينة ؛ وهي امه » .

(٣) هند : هند بنت ربيعة ، ام الخليفة معاوية . كانت فصيحة جريئة ؛ تقول الشعر الجيد . ومن شعرها رثاؤها لقتلى « بدر » من مشركى قريش وفي وقعة « احد » وقد غلب المسلمون كانت ممن مثل بقتلاهم . وكانت ممن اهدر النبي الكريم دماءهم يــوم فتح مكة وامر بقتلهم ولو وجدوا تحت استار الكعبة . وقد جاءته فأعلنت اسلامها ، فرحب ــ صلوات الله عليه ــ بها . شهدت « اليرموك » وحرضت على قتال الروم . وتوفيت سنة ١٤ هـ . طبقات ابن سعد ؛ ٨/١٧٠ .

(٤) الكامل : ٢/٢٣٧ طبعة الاستاذ منير الدمشقي .

ألســـنا نعاطـــي ذا الطماح لجامـــه

ونطعن في الهيجا اذا الموت اقصرا !؟

فروّيتُ رمحي من كتيبة خـــالـــدٍ

وإني لأرجـــو بعدهـــا أن اعمّـــرا

قال ابن الأثير : « ثم ان ابا شجرة أسلم ، فلما كان زمن عمر ، قدم المدينة فرأى عمر وهو يقسم في المساكين ، فقال : اعطني ، فإني ذو حاجة . فقال عمر : ممن انت !؟ فقال : انا ابو شجرة بن عبدالعُزّى السُلَمىّ . قال : أي عدوّ الله ! لا والله ! ألستَ الذي تقول :

فروّيـــت رمحي مـــن كتيبة خالـــدٍ

وإني لأرجو بعدهـــا أنْ اعمـــــرّا

وجعل يعلوه بالدرّة في رأسه ، حتى سبقه عدواً الى ناقته ، فركبها ولحق بقومه . وهم يذكرون له ابياتاً في حادثته هذه مع عمر .

وفي صحيح الإمام البخاري ؛ في باب الركوب على الدابّه الصعبة ، من « كتاب الجهاد : كان بالمدينة فزع فاستعار النبىّ صلى الله عليه وسلّم فرساً لابى طلحة ، يقال له : مندوب ، فركبه ، وقال : مارأينا من فزع ، وإن وجدناه لبحراً » اي واسع الجرى . قالوا : فقال عمر بن الخطّاب — رضى الله عنه — : « كذب الحطيئة حيث يقول :

وإنّ جيـــاد الخيـــل لا تســـتفزّنـــا

ولا جاعـــلات الريْـــط فـــوق المعاصم(١)

وقد يستشهد عمر ببعض البيت من الشعر ، فيكون كالمثل ؛ كتب اليه ابو عبيدة جواب كتابه في امر الطاعون بالشام ، فقرأ عمر الكتاب واسترجع ، فقال له المسلمون : مات ابو عبيدة !؟ قال عمر : لا ، وكأن قدِ ... » يشير الى قول النابغة :

ازف الترحّـــلُ غـــير ان ركابنـــا

لمّا تزل برحالنا وكأن قدِ

(١) الريط : جمع ريطة ؛ وهي كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد ، او هي كل ثوب لين رقيق .

ويبدو لنا ان احاديث الخمر ومجالسها وشرّابها ، وما يقال فيها من شعر ظلّت تطوف في نفسه الكريمة بعد اسلامه ، وبعد امتناعه عنها . وهو يردّد الشعر فيها ترداد — الصوفيّة لأشعار ابى نواس في الخمر ، يستعيرونها وهم يريدون بها الحبّ الالهيّ الذي يتفانون فيه . قال الجرجاني ؛ عبدالقاهر : « وفي الحديث عن عمر بن الخطّاب — رضى الله عنه — ذكر المرزباني في كتابه بإسناد عن عبدالملك بن عُمير ، قال : أُتيَ عمر — رضوان الله عليه — بحُلّلٍ من اليمن ، فأتاه محمد بن جعفر بن ابى طالب ، ومحمد بن ابى بكر الصّديق ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن حاطب. فدخل عليه زيد (١) بن ثابت — رضى الله عنه — فقال : يا أمير المؤمنين ! هؤلاء المحمّدون بالباب ، يطلبون الكسوة . فقال : إئذنْ لهم ياغلام . فدعا بحُلّلٍ ، فأخذ زيد أجودها ، وقال : هذه لمحمد بن حاطب ، وكانت امّه عنده ... فقال عمر — رضى الله عنه — : أيهات ! أيهات ! وتمثّل بشعر عمارة بن الوليد :

اسـرّكِ لمّـا صرّع القـوم نشـوةٌ
خروجـي منـها سـالماً غـيرَ غارم
بريئـاً كأني قبـلُ لم اك منهـمُ
وليس الخداعُ مرتضـىً في التنـادم

رُدّها ، رُدّها ! ثم قال : ائتني بثوب فألقِه على هذه الحُلّل . وقال : ادخِلْ يدَك فخذْ حُلّة ، وانت لا تراها فأعطهم . قال عبدالملك ؛ : فلم ار قسمةً اعدل منها . وقال الجرجانيّ : وعمارة هذا ، هو عمارة بن الوليد بن المغيرة ، خطب امرأة من قومه ، فقالت : لا اتزوّجك أو تتركَ الشراب ، فأبى . ثم اشتدّ وجده بها فحلف لها الاّ يشرب . ثم مرّ بخمّار عنده شَرْبٌ يشربون . فدعوه فدخل عليهم ، وقد انفدوا ما عندهم ، فنحر لهم ناقته ، وسقاهم ببرديه ، ومكثوا اياماً ... ثم خرج فأتى اهله . فلما رأته امرأته قالت : ألم تحلف الاّ تشرب !؟ فقال :

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي : من اكابر الصحابة . كان كاتب الوحى . نشأ بمكة هاجر مع النبي الكريم وهو ابن ١١ سنة . كان رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والفرائض . كان احد الذين جمعوا القرآن . وهو الذي كتبه في المصحف لابى بكر ثم لعثمان ، رثاه حسان بن ثابت يوم مات ، له في الصحيحين : ٩٢ حديثاً . صفوة الصفوة ؛ : ٢٩٤/١ . والأعلام للزركلي : ٩٦/٣ .

ولسنا بشَرْبٍ امّ عَمرو إذا انتشـــوا
ثيابُ الندامـى عندهـم كالغنائـم
ولكننّا يـا امّ عمـرو نديمنـا
بمنزلـة الـريّـان ليس بعائـم
اسرّكِ ....

قال الجرجانيّ ، وهو يرى كيف تمثّل عمر رضى الله عنه لهذه الأبيات فصرفها من حال الى حال فإذاً ربّ هزلٍ صار أداةً في — جدٍّ ، وكلام جرى في باطل، ثم استعين به على حق » (١)

عمر وأنشاد الشعر

ولعلّ عمر كان من اكثر اصحاب رسول الله حباً لاستماع الشعر منشداً ، وكان يرى في استماعه سلوةً ومتعة ، وقد يكون حافظاً لهذا الشعر ومع ذلك يحب استماعه منشداً . ولا سيّما اذا كان المنشد هو الشاعر نفسه ، وعلّة ذلك أنه ليستمتع بالإنشاد لذاته ؛ ذلك لأن الإنشاد — في أغلب الأحيان — يردّ الشاعر الى الحالة النفسية التي قال شعره بها ، فيكون الشعر أبعدَ تأثيراً في سامعيه . قالوا : قدم متمّم بن نويرة الى مسجد رسول الله ، وصلى خلف ابى بكر ، حتى اذا فرغ ابو بكر —رضوان الله عليه — من صلاته ، وانفتل من محرابه ، قام متمّم بحذائه ، واتكأ على قوسه ، وراح ينشد في رثاء اخيه مالك :

نعـم القتيـل اذا الريـاح تناوحـتْ
بيـن البيـوت قُتلـتَ يـا ابن الأَزْور

وقال : وهو يومئ الى ابي بكر رضى الله عنه :

ادعوتـه بالله ثـم غدرتـه ! ؟
لـو هـو دعـاك بذمّـةٍ لم يغدر

ومضى متمّم في انشاده :

ولنعـم حشـو الـدرع كان وحاسراً
ولنـعم مـأوى الطارق المتنوّر (٢)

---

(١) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ؛ ص : ١١ .
(٢) المتنور ، من قولهم : تنوروا النار من بعيد ، اي تبصروها . القاموس .

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه

حلوٌ شمائله عفيف المئزر

وراح يبكي ... وغلبه البكاء ، فانقطع عن الإنشاد .

وهكذا ترى متمّماً ، وهو ينشد اشعاره الباكية ، تأخذه سورة الانفعال حتى يبكي ويقطعه البكاء عن انشاده .

ويقولون مثل هذا عن كثير من الشعراء ساعة إنشادهم . يحدّثون عن الشاعر ذى الرمّة ، أنّه كان ينشد في المربد بالبصرة قصيدته :

ما بال عينك منها الماء ينسكب

كأنه من كلىً مفريّة سرب

قالوا : كان ينشد ، ودموعه تجرى على لحيته (١) . وقالوا عن ابي النجم ، الراجز العجلى إنه اذا أنشد أزبد ووحّش بثيابه — اي رمى بها — وكان من أحسن الناس إنشاداً (٢).

هذه حالة الشعراء حين ينشدون اشعارهم . إن عواطفهم تثور وتغلى ، حتى تنزل دموعهم وتسيل ، وحتى يَشرق بعضهم بدمعه ويعسر عليه الإنشاد ، او يفعل به على نحو ما يفعل بأبى النجم الراجز يوحّش بثيابه .

ونعود فنقول : كان عمر يحبّ ان يستمع الشعر ينشده الشعراء قائلوه . وفي العقد الفريد : « قال عمر بن الخطّاب — رضى الله عنه للنابغة الجعدىّ : أسمعنى بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك ، فأسمعه كلمة له . قال : وإنّك لقائلها !؟ قال : نعم. قال عمر : لطالما غنّيتُ بها خلف جمال الخطاب (٣) » يعني اباه .

ويقول ابن الأثير : « ولما قدم متمّم بن نويرة — على عمر ، قال له عمر : ما بلغ بك الوجد على اخيك ؟ قال : بكيته حولاً حتى اسعدتْ عيني الذاهبة عيني الصحيحة وما رأيت ناراً قطّ إلاّ كدتُ اتقطّع أسىً عليه ؛ لانه كان يوقد ناره الى الصبح ، مخافة أن يأتيه ضيف ولا يعرف مكانه ... قال عمر : أنشدني بعض ما قلته فيه ، فأنشده مرثيته التي يقول فيها :

---

(١) اسواق العرب ؛ ص : ١٣٤ .

(٢) الأغاني ؛ ١٥١/١٠ .

(٣) العقد الفريد لا بن عبد ربه ؛ ٩/٦ .

وكنّا كندمانى جذيمة حقبةً
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرّقنا كأني ومالكاً
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا (١)

وكما كان عمر يحب ان يستمع الى الشعر منشداً من شعرائه (٢) ، كان يحب ان يسمعه منشداً من غير شعرائه ايضاً . قال ابن عباس — رضى الله عنه — خرجت مع عمر في اول غزوة غزاها ، فقال لي ذات ليلة : يا ابن عبّاس، انشدني لشاعر الشعراء ! قلت : ومن هو يا امير المؤمنين !؟ قال : زهير بن ابى سلمى ، انشدني له . قال ابن عبّاس : فأنشدته حتى برق الفجر . قال : حسبك الآن ، اقرأ القرآن . قلت : وما اقرأ ؟ قال : اقرأ : «الواقعة» . قال : فقرأتها . ونزل فأذّن (٣) وصلّى ....

وترى من حديث ابن عبّاس هذا أنّ عمر كان يحفظ شعر زهير ، ولكنه يحبّ ان يسمعه مُنشَداً . وتراه ما قطعه عن الاستماع الى إنشاده الاّ بروق الفجر ، والاستماع الى قراءة القرآن ثم الأذان والصلاة .

ونقول في هذا ان المنشد إذا ذاق الشعر وتأثّر به ثارتْ عواطفه ، وحدث له ما يحدث للشاعر نفسه . وقد بيّن افلاطون في احدى محاوراته السقراطيّة عن احد المنشدين الهومريين — الذين ينشدون شعر الشاعر هوميروس — ما يحدثه الانشاد من أثر في نفسه ، قال : « حين اُنشد نشيداً حزيناً تمتلئ عيناي بالدموع » وحين يكون غريباً او مخيفاً يقف شعر رأسي ، ويتزايد خفقان قلبي (٤) » . وفي حديث للزبير ابن بكار (٥) أنّ ابا عبيدة كان إذا انشد قصيدة كثير عزّة :

---

(١) الكامل لابن الأثير : ؛ ٢٤٣/٢ طبعة الاستاذ منير الدمشقي .

(٢) انظر مقالنا السابق عن « عمر بن الخطاب في سيرته الأدبية » في الحديث عن : « عمر واسرته » في المجلد السابع والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

(٣) الأغاني ؛ ١٥ /٢٩٠ .

(٤) The dialognes of plato – Translated by Jowett p 40

(٥) الزبير بكار : من احفاد الزبير بن العوام . عالم بالأنساب والأخبار ، راوية . ولى قضاء مكة وتوفى فيها ، له تصانيف كثيرة ، منها : « اخبار العرب وايامها » و « نسب قريش واخبارها » و «اخبار حسان» و«اخبار نصيب » و«اخبار كثير عزة » . توفي سنة ٢٥٦ هـ .

لعزّة مـــن ايـــام ذى الغصـــن شـــاقني
بضاحى قـــرار الروضتيـــن رســـوم (١)
فما برســـوم الـــدار لو كنتَ عالمـــاً
ولا بالتـــلاع المقويـــات اهيـــم

يقول : « كان إذا انشد قصيدة كثيّر هذه يتحازن حتى تقول : إنه يبكي (٢)».

وهكذا ترى أنّ عمر كان يحب أن يسمع الشعر منشداً ؛ لأن الإنشاد يكسب الشعر صورة اخرى ، ولا سيّما اذا كان المنشد مجيداً . وناهيك بابن عبّاس منشـــداً للشعر ، وقارئاً للقرآن .

أي الشعر يحب

وعمر يحب الشعر لدواع فنيّة فيه . على أنّه مع إكباره واستمتاعه للنواحي الفنية فيه يغلّب الجانب العملي ، والجانب الخلقي على الجانب الفنيّ فيه . وحديثه في هذا حديثه في الطعام ؛ كان يشتهي لذيذه وطيّبه ، ومع ذلك كان يذود نفسه عنه ذوداً ، لأنه لا يريد أنْ يستأثر بطعام يصعب تيسّره لعامة المسلمين (٣) . ومن هنا صار يأمر بتداول الشعر يرى فيه خدمة للديـــن وللخلق ، وينهى عن الشعر يرى فيه مساساً بالدين والخلق . وقد مرّ بنا أنه كتب الى المغيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة ، ان استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الإسلام . فتراه يطلب اليه اذاعة ما قاله الشعراء في ايام الإسلام ، ولا يريد ما قيل في الجاهلية ؛ لأنه يدرى أنّ ما قيل في الجاهلية فيه ما يخالف الكثير مما يريده الاسلام ويأمر به . وهذا مالايريده عمر ، ولا يريد إذاعته . وواضح ايضاً انه انما طلب الى المغيرة ان يعنى بالشعر الذي قيل في الإسلام لعلمه أنه قيل بروح اسلاميّة تحثُّ على الجهاد ، وتحث على التضحية في سبيل نشر الإسلام ، ونشر مبادئه واعلاء كلمته .

---

(١) ذو الغصن : واد قريب من المدينة ، تنصب فيه سيول الحرة . وهو من اودية العقيق .
والروضتان : هما روضة « الجام » و « روضة الدبوب » . وقد اشار كثير الى هذا في الأبيات التاليـــة لهذا البيت . والقرار : جمع قرارة ؛ وهي المطمئن من الأرض . وضاحى القرار : الظاهر البارز منها .

(٢) الأغاني ؛ ١٨٦/١٢ .

(٣) انظر حديثنا عن : « عمر بن الخطاب في سيرته الأدبية » . في المجلد السادس والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي ؛ سنة ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م .

كان هذا ديدن عمر في سيرته . ولقد كتب الى سعد بن أبي وقّاص ، وهو بالقادسية : « ان جنّبهم حديث الجاهلية ، فإنه يذكّر بالاحقاد . وعظهم بأيام الله مانشطوا لاستماعها » (١)

وأنشده سُحيم (٢) ؛ عبد بني الحسحاس قصيدته المشهورة :

عُمَيْرةَ وَدِّعْ إن تَرحّلْتَ غاديا
كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر : « لو قدّمتَ الإسلام على الشيب لأَجزتك (٣) » وفي رواية انه قال له : « لو كان شعرك كلّه مثل هذا لأَجزتك » . ولئن كان الكثير من الخلفاء وأولي الشأن من الناس يُجيزون الشعراء على الشعر يمتدحونهم به ، فإنّ عمر هو الذي يُجيز على الشعر يحثّ على الخلق القويم ويرفع من شأن الإسلام .

وكما كان يأمر برواية الشعر يمتلئ بروح الإسلام ويعلى كلمته ، كان ينهى عن الشعر ، لا يرى فيه خدمةً لروح الإسلام ، ولذلك نهى عن رواية الشعر يذكّر بالاحقاد ؛ ما كان منها في الجاهلية ، وكان وما منها في الإسلام . وفي الأغاني : « نهى عمر بن الخطاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتم الحيّ بالميّت ، وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله امر الجاهلية بما جاء في الإسلام (٤) » .

قالوا : « ... فقدم المدينة عبدالله بن الزِّبَعْرى السَّهْميّ ، وضِرار بن الخطّاب الفِهريّ ثم المحاربيّ ، فنزلا على ابى احمد بن جحش ، وقالا له : نحب ان ترسل الى حسّان بن ثابت حتى يأتيك ، فننشده وينشدنا مما قلنا له وقال لنا . فأرسل اليه فجاءه ... فقال ابن الزّبعرى وضِرار : يا ابا الوليد — كنية حسّان بن ثابت — إنّ شعرك

---

(١) رسائل الجاحظ ؛ ٢٩٠/١ .

(٢) سحيم : شاعر رقيق الشعر ، كان عبداً نوبياً اعجمي الأصل اشتراه بنو الحسحاس ؛ وهم بطن من اسد فنشأ فيهم . رآه النبي الكريم ، واعجبه شعره . عاش الى اواخر ايام عثمان ومات حوالي سنة ٤٠ هـ . له ديوان صغير مطبوع ، بتحقيق الاستاذ عبدالعزيز الميمنى .

(٣) البيان والتبيين ؛ ٧١/١ .

(٤) الأغاني ؛ ١٤٠/٤ .

كان يُحتَمل في الإسلام ولا يحتمل شعرنا ، وقد أحببنا ان نُسمعك وتُسمعنا . فقال حسان : أفتبدآن ام ابدأ ؟ قالا : نبدأ نحن ... فأنشداه حتى فار فصار كالمرجل غضباً ، ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكّة ، فخرج حسان حتى دخل على عمر بن الخطاب فقصّ عليه قصّتهما وقصّته . فقال عمر : لن يذهبا عنك بشيئ إن شاء الله . وارسل مَن يردُّهما ، وقال له عمر : لولم تدركهما إلاّ بمكة فارددْهما عليّ ... ووافاهما رسول عمر فردّهما اليه . فدعا لهما بحسّان ، وعمر في جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال لحسّان : أنشدهما مما قلت لهما . فأنشدهما حتى فرغ مما قال لهما . فوقف ، فقال له عمر : افرغتَ ؟ قال : نعم ، فقال له : أنشداك في الخلا ، وانشدتَهما في الملا ... وقال عمر لمن حضره : إني قد كنت نهيتكم أنْ تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفْعاً للتضاغن عنكم ، وبث القبيح فيما بينكم (١) » .

وقصة الزبرقان بن بدر وهجاء الحطيئة له ، واستعداء الزبرقان عليه عمر بن الخطّاب مشهورة متداولة . وسنتحدّث عن شعر الحطيئة فيها في مكان آخر من هذا الحديث . قالوا : لقد امر عمر بالحطيئة فحبس ، وظلّ الحطيئة يقول الشعر يستعطف به عمر ، وعمر لا يردّ عليه ، حتى قال ابياتاً ، منها :

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرخٍ (٢)
زُغْب الحواصل لاماءٌ ولا شجر
ألقيتَ كاسبهم في قعر مظلمةٍ
فاغفر عليك سلام الله ياعمر
وامننْ على صبيةٍ بالرمل مسكنهم
بين الأباطح تغشاهم به القرر

قالوا : فبكى عمر ، حين سمع ابياته هذه . وارسل الى الحطيئة ، وقد كلّمه فيه عمرو بن العاص ، وعبدالرحمن بن عوف وغيرهما ، فأخرجه من السجن ، ثم قال :

---

(١) الأغاني ؛ ٤٣/١٤١ .

(٢) ذو مرخ ؛ في القاموس : « وذو مرخ محركة : واد بالحجاز »

عليّ بالشاعر . فإنه يقول الهُجْر وينسب بالحُرَم ، ويمدح الناس وذمّهم بغير ما فيهم ، ما اراني الا قاطعاً لسانه ... فقالوا : لا يعود يا امير المؤمنين ! واشاروا اليه : النّجاءَ(١) ... » .

وفي الأغاني : « ... عن عبدالله بن المبارك : ان عمر ، — رضى الله عنه — لما اطلق الحطيئة اراد ان يؤكّد عليه الحجّة ، فاشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم ، فقال الحطيئة في ذلك :

واخذتَ أطراف الكلام فلم تدع
شتماً يضرُّ ، ولا مديحاً ينفع
وحميتني عِرض اللئيم فلم يخف
ذمّي ، وأصبح آمناً لا يفزع

ومثل قصة الحطيئة والزبرقان هذه ، قصة تميم بن مقبل والنجاشي الحارثي . قالوا : هجا النجاشي رهط تميم بن مقبل . ، فاستعدَوا عليه عمر بن الخطّاب ... فحبس الشاعر ، وضربه ، وانذره لئن عاد ليضاعفَنّ له العقاب (٢) » .

وكما نهى عن شعر الهجاء ، وحبس عليه ، نهى عن الشعر يقال في الخمر(٣) ، وعاقب عليه ايضاً . قالوا : بلغه ان النعمان(٤) بن عديّ بن نضلة ، واليه على « ميسان» قال :

---

(١) الأغاني ؛ ١٨٩/٢ .

(٢) انظر ص : ٢٨٩ من كتاب : عبقرية عمر — لعباس محمود العقاد . وسنعاود الحديث في قصته هذه في حديثنا عن عمر ونقد الأدب .

(٣) انظر مقالنا السابق عن عمر والخمر في مجلة المجمع العلمي العراقي هذه .

(٤) النعمان بن عدى بن نضلة العدوى : شاعر ، صحابى ، من الولاة . هاجر مع ابيه الى الحبشة ، في بدء ظهور الإسلام ، ومات ابوه فيها ، فورثه النعمان ، قالوا : فكان اول وارث في الإسلام . ولاه عمر على «ميسان» وميسان كورة واسعة بين البصرة وواسط . قالوا : « ولم يول عمر احداً من قومه (بنى عدى) غيره ، لما كان في نفسه من صلاحه . واستقدمه عمر وعزله حين بلغه شعره هذا . قال النعمان : والله ما كان من ذلك شيءٌ ، وانما هو فضل شعر قلته . فقال عمر : إني لأظنك صادقاً ، ولكن — والله — لا تعمل لي عملا ابداً . ورحل النعمان الى البصرة ، وظل يغزو مع المسلمين الى ان مات . انظر الإعلام — للزركلي ؛ ٧/٩ .

مـــن مبلـــغ الحســـناء انّ حليلهـــا
بميسان يُســـقى في زجاج وحنتم(١)
اذا شـــئت غنّتنـــي دهاقـــين قريـــةٍ
وصنّاجـــة تحشـــو عـــلى كلّ منسم (٢)
فإن كنت نـــدمـــانى فبالأكبر اســـقني
ولا تســـقنى بالأصـــغر المتثـــلّم
لعـــلّ امير المؤمنـــين يـــسوؤه
تنـــادمنا بالجوسق (٣) المتهـــدّم

قالوا : فلما بلغ عمر قولُه ، قال : نعم — والله — إنه ليسوؤني وعزله .

ومرّ بنا حديث عمر ،وغيرته الشديدة على النساء (٤). ومن هنا تقدّم — رضى الله عنه الى الشعراء ، ألاّ يشبب احدٌ بامرأة إلاّ جلده . قالوا عن الشاعر حُميد بن ثور ، وقد عدّه ابن سلام في طبقاته ، في الطبقة الثالثة من الشعراء الاسلاميين (٥) — إنـــه اراد ان يشبب فخاف عمر ، فكنّى عن المرأة بالسرحة — والسرحة : الشجرة الطويلة — وقال قصيدته التي منها :

ابـــى الله إلاّ أنّ سَـــرْحة مـــالكٍ
عـــلى كلّ أفنـــان العِضـــاه تروقُ(٦)

---

(١) الحنتم : الجرة الخضراء .

(٢) قال ابن الجوزي : « جاء في الشعر تحشو وتحذو والصحيح يحذو ومعناه ينتصب » والمنسم ؛ استعارة ؛ وهو من البعير بمنزلة الظفر من الإنسان .

(٣) الجوسق ؛ قال ابن الجوزي : « والجوسق فارسي معرب ، وهو تصغير (كوشك ، اي قصر صغير » ص : ١٠٠ سيرة عمر بن الخطاب .

(٤) انظر مقالنا السابق في هذا ، في مجلة المجمع العلمي العراقي .

(٥) الأغاني ؛ ٣٥٦/٤ ، وطبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ؛ ص : ١٣٠ ، طبعة اوربا .

(٦) السرحة : الشجرة الطويلة . والعضاه ؛ بالكسر اعظم الشجر ، او كل ذات شوك او ما عظم منها . تروق : تزيد عليها بحسنها وبهائها ؛ من قولهم : راق فلان على فلان : اذا زاد عليه فضلا . انظر حاشية ص: ٣٥٦ من الجزء الرابع من الأغاني .

والقصيدة طويلة جيدة . انظرها في : « ديوان حميد بن ثور ، ص : ٤ ؛ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥١ بتحقيق الاستاذ عبدالعزيز الميمنى .

فقد ذهبتْ عَرْضاً وما فوق طولها
من السّرْح الا عَشّةٌ وسَحوقُ (١)
فلا الظلّ من برد الضحى تستطيعه
ولا الفيءَ من برد العشيّ تذوقُ

الى أن قال — وكأنه خاف عمر — رضى الله عنه — :

فهل انا إن علّلتُ نفسي بسرحةٍ
من السّرح مسدودٌ عليّ طريقُ

وكان عمر يحب شعر الرثاء خاصة ، وربما احبّه لأمرين اولهما — الرثاء يقوله الشاعر — في الغالب — عن عاطفة صادقة ، ولا سيّما هذا الرثاء الذي يقوله الشعراء ينكبون بأولادهم او إخوانهم او ذويهم ، وبابه من أصدق ابواب الشعر العاطفيّ عند العرب . يضاف الى هذا أنّ الشعراء العرب ، حين يتحدّثون عن الميت في الرثاء لا يذكرون ، في الغالب ، الا محاسنه ، وما فيه من شيم ومروءة وخلق كريم ، وهذه هي الصفات التي يحب عمر ان تشيع بين المسلمين لموافقتها للدين الإسلامي ومُثُله الكريمة . وهم حين يتحدثون عن انفسهم وشعورهم الحزين على الموتى ، انما يذكرون لواعجهم وقد مرّ بنا أنّ عمر بن الخطاب قد رزئ بأخيه زيد ، وان حزنة عليه كان فوق حزن الإخوان على اخوانهم ، وانه رزئ بابنه عاصم ، ومن هنا أحبّ عمر شعر الرثاء ، وكان يحب ان يسمعه منشداً ، ولا سيّما اذا كان منشداً من قائله نفسه ، ومن هنا كان يحب ان يستمع الى الرثاء من قائليه خاصة .

قالوا : زار الغرقد ، والغرقد مقبرة اهل المدينة ، ورأى اعرابياً فيها جاء يزور ولده الذي واراه من ثلاث سنين ، فسأله عمر أن يُنشده ما قال فيه من الرثاء ، فأنشده الأعرابي (٢) .

وشهر عمر بحبه لاستماع رثاء متمم لأخيه مالك ، وكان يحب ان يسمعه منشداً منه . وقد مرّ بحديثنا عن حبّ عمر لاخيه زيد ، وحزنه الشديد لمقتله إنه كان يقول :

---

(١) العشة ؛ في الأغاني : « العشة : القليلة الأغصان والورق . والسحوق : الطويلة المفرطة » .

(٢) انظر مقالنا السابق عن ؛ « عمر بن الخطاب في سيرته الأدبية » في المجلد السادس والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م .

ما اراد أحد ان يبكيني الا ذكّرني بأخي زيد . ويقول : ما هبّت الصبا من اليمامة الا شممت منها رائحة اخي زيد .

ومرّ بنا حديثه مع ابى بكر في مقتل مالك ، وانه طلب اليه ان يعزل خالداً بسببه .

وعندنا ان الشعر الذي كان يسمعه عمر من متمم ، وهو رثاء اخ لأخيه كان يعبّر عن نفس عمر فيما كنّه لأخيه زيد . وقد عبّر هو عن هذا فقال : وددت أني أُحسن ان اقول في اخي زيد ما قلتَ في اخيك مالك . فكأنه حين يسمع هذا الرثاء يرى فيه نفسه ، وقد عبّرت بما عندها لأخيه زيد .

وقد يكون من اسباب حبه الشديد لهذا الرثاء ، عطفه على مالك ؛ ذلك ان عمر — على ما روى الرواة عنه — رأى انه كان مسلماً ، وأنه قتل ظلماً . يضاف الى هذا كلّه تزوّج خالد بن الوليد بامرأته . وهم يروون قول عمر لخالد : « قتلت مسلماً ونزوتَ على امرأته (١) » وقد سبق ان بيّنا أن عمر كان شديد الغيرة على النساء ، ولا نشك ان هذا ضاعف من عظم الأمر في نظره . وقد يكون مما ضاعف هذا الأمر عنده ان ابنه عبدالله كان في جيش خالد هذا . يقول ابن سلاّم : « وقال له عبدالله بن عمر ، وهو في القوم يومئذٍ : ياخالد ابعد شهادة ابى قتاده !؟ فأعرض عنه . ثم عاوده اي عاود خالداً — فقال خالد : يا ابا عبدالرحمن اسكتْ عن هذا ؛ فإني أعلم ما لا تعلم » وعلى هذا فربما كان حديث عبدالله بن عمر الى ابيه ، وهو على رأي ابى قتادة ، مما جعل ظن عمر في هذا الأمر يقيناً او كاليقين .

يضاف الى هذا ان مالكاً كانت له صفات يحبها عمر ، وكان فيه صفات من اخيه زيد بن الخطاب ، فكأنه اجتذب اليه نفس عمر لهذا ولهذا . يقول ابن سلاّم عنه : « وكان مالك رجلاً شريفاً فارساً (٢) » ويبين صاحب الأغاني ان فرسه « ذا الخمار » كان من الشهرة بحيث يُعرف به مالك . يقول : «وكان مالك يقال له : فارس ذى الخمار! قيل له ذلك بفرس كان عنده يقال له « ذو الخمار (٣) » . ورمح مالك ، على ما يصفه اخوه متمم ، الرمح الخطل . وقد علّق الجاحظ على عبارة متمم ، بقوله : « ولا يحمل

(١) انظر المقال المشار اليه نفسه .

(٢) طبقات الشعراء — لابن سلام الجمحي ؛ ص : ٥٠ .

(٣) الأغاني ؛ ١٥/٢٩٨ .

الرمح الخطل إلاّ الشديد الأيّد، والمدلّ بفضل قوّته عليه ، الذي اذا رآه الفارس في تلك الهيئة هابه ، وحاد عنه (١) » وحسبك من شجاعته ان قالوا في المثل : « فتىً ولا كمالك (٢) » وفيه يقول متمم اخوه :

ولنعم حشو الدرع انت وحاسراً
ولنعم مأوى الطارق المتنوّر

ولعل هذا كان يسمعه عمر ، فتسرع الى خاطره صورة اخيه زيد ، وقد تحاورا على الدرع ، حين اعطاه عمر لأخيه في يوم اُحُد ، فلبسها زيد ، ثم عاد فخلعه ، وتحاورا في ايّهما يلبسها ، ثم تركاها معاً .

وفوق شجاعته هذه ، قالوا فيه حين قتل : « إنّه ، والله — كان غضيض الطرف عن الجارات ، حديد النظر في الغارات » (٣) وفيه يقول متمم :

لا يُضمر الفحشاء تحت ردائه
حلوٌ شمائله عفيف المئزر(٤)

ووراء هذا كلّه كان مالك شاعراً ايضاً .

هذه الصفات التي جمعها مالك هي الصفات التي حببّت رثاءه الى عمر ؛ كان شجاعاً شريفاً ، وكان عمر يحب هذا ، وكان زيد بن الخطاب اخوه كذلك . وكان غضيض الطرف عن الجارات ، وعمر شهر بغيرته على النساء حتى لو قيل « الخليفة الغيور » لما تبادر الى الذهن غيره (٥) . وكان شاعراً وعمر يحب الشعر .

وفي الأغاني : « وانشد متمم عمر بن الخطاب ، وذكر خمصه — يعني خمص مالك — يعنى قوله :

لقد كفّن المنهال تحت ردائه
فتى غير مبطان العشيات أروعا

---

(١) البيان والتبيين : ٢٤/٣ .
(٢) العقد الفريد — لابن عبد ربه : ١١٤/٢ .
(٣) الأشباه والنظائر : ٣٤٥/٢ .
(٤) الأغاني ؛ ٣٠٦/١٥ (٥) العقاد — عبقرية عمر .

قال : « فقال عمر : أكذاك كان يا متمم !؟ قال : أمّا ما أعنى فنعم » وقد اطلنا الحديث عن عمر والطعام – في مقالنا السابق – ولا شك ان هذه ايضاً مما كان يعطف نفس عمر عليه في رثائه .

وفي الأغاني : « حدثني احمد بن عمّار العبدى ، وكان من العلم بموضع ، قال : حدثني ابي عن جدي ، قال : صليت مع عمر بن الخطاب الصبح ، فلما انفتل من صلاته ، اذا هو برجل قصير اعور ، متنكّباً قوساً ، وبيده هراوة ، فقال : من هذا؟ قالوا: متمم بن نويرة ، فاستنشده عمر قوله في اخيه ، فأنشده :

لعمرى وما دهرى بتأبين مالك
ولا جزع مما اصاب فأوجعا
لقد كُفّن المنهال تحت ثيابه
فتى غير مبطان العشيات اروعا

حتى بلغ الى قوله :

وكنا كندماني جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرّقنا كأنّي ومالكاً
لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا

فقال عمر : هذا والله التأبين ، ولوددت اني احسن الشعر ، فأرثى اخى زيداً بمثل ما رثيت به اخاك ! » وقال عمر : لوكنت شاعراً لقلتُ في اخى زيد اجود مما قلتَ . قال متمم : يا امير المؤمنين ! لو كان اخي اصيب مصاب اخيك ما بكيته..

وكان عمر يحب شعر زهير ، وشعره في المديح خاصة ؛ ذلك لأن زهيراً يمدح بالمثل العربية الكريمة التي ارادها الإسلام ، وحثّ عليها . ثم هو لا يبالغ ولا يُسرف في مديحه ، ولا يمدح – على قول عمر – أحداً إلاّ بما فيه . قالوا : اُنشد قول زهير في هرم بن سنان :

قومٌ ابوهم سنانٌ حيث تنسبهم
طابوا وطاب من الأفلاذ ماولدوا

لـــو كان يقعد فـــوق الشمس مـــن كرم
قومٌ بأوّلهـــم أو مجدهـــم قعـــدوا
محسّدون عـــلى ما كان مـــن نِعـــم
لا ينـــزع الله منهـــم ما لـــه حُسِدوا

فقال عمر : ما كان احبّ اليَّ لو كان هذا الشعر في اهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (١) » .

عمر يسترضي ويستشفع عنده بالشعر ومن اقوال عمر — رضى الله عنه — : « من خير صناعات العرب. الابيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته ، يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم (٢) »و« يستنزل »في عبارته هذه : يطلب منه النُزُل . والنُزُل : ما يُهيّأ للضيف أن ينزل عليه من طعام ذى فضل وبركة(٣). ومنه قولهم : مكان نزل ، وارض نزلة : اي زاكية الزرع . فكأنه — رضوان الله عليه — يرى أبيات الشـــعر خير ما يستنزل بها الكريم . وكان عمر كذلك ، وكان قصّاده يقفون هذا الموقف منه .

جاءه عمرو بن الحارث بن النّهمّى من همدان ، المعروف بعمرو بن براقة ، وبراقة امّه ، وله اخبار في الجاهليّة ، جاءه بعدما اسنّ وضعف ، فأنشده ابياتاً يقول فيها :

إنـــك مســـترعـــي وإنـــي رعيّـــة

فوصله عمر (٤) .

ووفد عليه معن بن اوس(٥) ، ومعن شاعر مجيد ؛ من مخضرمي الجاهلية والإسلام له مدائح في جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويبدو أنّ سُبل العيش

---

(١) العقد الفريد : ٨/٢٩١ .
(٢) البيان والتبيين : ٢/٣٢٠ .
(٣) القاموس المحيـــط .
(٤) الاصابة في تمييز الصحابة — لابن حجر ٣/١١٥ ترجمة : ٦٤٧٧ .
(٥) معن بن اوس بن نصر بن زياد المزنى — رحل الى الشام والبصرة وكف بصره في اواخر ايامه . كان يتردد الى عبدالله بن عباس وعبدالله بن جعفر بن ابى طالب فيبالغان في اكرامه . وكان معاوية يفضله ويقول : اشعر اهل الجاهلية زهير بن ابى سلمى ، واشعر اهل الاسلام ابنه كعب ومعن بن اوس « وهو صاحب لامية العجم ، التي اولهـــا :

لعمـــرك مـــا ادرى وإنـــي لأوجـــل
عـــلى اينـــا تعـــدو المنيـــة اول

لم تكن ميسّرة له في الحجاز ، حتى قالوا : إنه سافر الى الشام ، وخلّف ابنته ليلى في جوار عمر بن ابي سَلَمة — وامُّه امّ سَلَمة ، امّ المؤمنين رضي الله عنها — وفي جوار عاصم بن عمر بن الخطاب ، فقال له بعض عشيرته : على من خلّفت ابنتك ليلى بالحجاز ، وهي صبيّة ليس لها مَن يكفيها !؟ فقال مَعن :

لعمرُك ما ليلى بدار مضيعة
وما شيخُها إن غاب عنها بخائف
وإن لها جاريْن لن يغدرا بها
ربيب النبيّ ، وابنَ خير الخلائف

وعُمرّ معن هذا ، حتى ضعف بصره ، وكثر عياله ، وعلاه الدين ، حتى قال :

اخذت بعين المال حتى نهكته
وبالدين حتى ما اكاد اُدانُ
وحتى سألتُ القرض عند ذوى الغنى
ورد فلانٌ حاجتي وفلانُ

قالوا : وفد معن على عمر مستعيناً به على بعض أمره ، وخاطبه بقصيدته التي اوّلها :

تأوّبَه طيفٌ بذات الجرائم
فنام رفيقاه وليس بنائم (٢)

فوَصلَه عمر (١) .

وحبس عمر الحطيئة لهجائه الزبرقان بن بدر ، فراح الحطيئة يستعطف عمر بشعره وقال فيه :

اعوذ بجدّك اني امرؤٌ سقتني الأَعادي اليك السِّجالا(٣)
فإنك خيرٌ من الزبرقا ن اشدّ نكالاً وأرجى نوالا
تحنّنْ عليَّ هداك المليـ ـك فإن لكلٍّ مقام مقالا

(١) الأغاني ؛ ٥٩/١٢ .
(٢) ذات الجرائم : موضع .
(٣) السجال : جمع السجل ؛ وهو الدلو العظيمة مملوءة ، وملء الدلو (القاموس) .

ولا تأخذنّي بقـــول الـــوشـــاة فإن لكلّ زمـــانٍ رجـــالا
فإن كان ما زعموا صادقـــاً فسيقت اليـــك نسائي رجالا (١)
حواسرَ لا يشـــتكين الوجـــا يحفّـــضن آلاً ويرفعـــن آلا

فلم يلتفت اليه عمر ، حتى قال ابياته :

ماذا تقـــول لأفراخ بـــذى مَرَخ زُغْبِ الحواصل لا مـــاءٌ ولا شجر
ألقيتَ كاســـبهم في قعر مظلمة فاغفـــر عليـــك سلام الله ياعمر(٢)

قالوا : فبكى عمر حين استمع ابياته هذه ، واطلقه .

وفي اخبار المخبّل (٣) السعدي الشاعر ، واسمه الربيع (٤) بن ربيعة ، ان ابنـــه شيبان خرج مع سعد بن ابى وقّاص لحرب الفرس ، فجزع عليه المخبّل جزعاً شديداً وكان قد اسنّ وضعف ، فافتقر الى ابنه ، ولم يملك الصبر عنه ، وكاد أن يُغلب على عقله ، فعمد الى ابله وسائر ماله فعرضه ليبيعه ويلحق بابنه ... وكان به ضنيناً . قالوا : فمنعه علقمه بن هَوذة .. وقال : انا أكلّم امير المؤمنين عمر في ردّ ابنك . فإن فعل غنمت مالك واقمت في قومك ... ومضى الى عمر — رضوان الله عليه — فأخبره خبر المخبّل، وجزعه على ابنه ، وأنشده قولـــه :

أيُهلكنى شيبانُ في كلّ ليلـــة لقلبي من خوف الفراق وجيب (٥)
أشيبان مـــا أدراك أن كلّ ليلـــةٍ غبقتـــك فيهـــا والغبوق حبيب(٦)
وأنّي حنتْ ظهرى خطوبٌ تتابعت فمشي ضعيفٌ فـــي الرجال دبيب
اذا قال صحبى : يا ربيعُ ألا ترى؟ ارى الشخص كالشخصين ، وهو قريب

---

(١) رجال : جمع رجلة (بفتح الراء وضم الجيم) اي راجلة .
(٢) الأغاني : ١٨٨/٢ وبقية الأبيات في ص : ٥٦ من هذا المقال .
(٣) انظر خبره هذا في الأغاني ؛ ١٨٩/١٣ .
(٤) هذه تسمية ابن الكلبى ، وفي الأغاني : « وقال ابن دأب : اسمه كعب بن ربيعة . وقال ابن حبيب وابو عمرو : اسمه ربيعة بن مالك ... » والمخبل هذا شاعر فحل ، من مخضرمي الجاهلية والاسلام . يكنى ابا يزيد ، وإياه عنى الفرزدق بقوله :

وهـــب القصائد لي النوابـــغ اذ مضـــوا
وابو يزيـــد وذو القـــروح وجرول

— الأغاني ؛ ١٨٩/١٣ .
(٥) ويروى : « واهلكنى .. والوجيب : الخفقان .
(٦) الغبوق : الشرب في العشي

وُيخبرني شيبان أنْ لـــن يعقّني تعُقّ إذا فارقتني وتحوب (١)

قالوا : فلما انشد عمر هذه الأبيات بكى عمر ، ورقّ له . فكتب الى سعد يأمره أن يقفل شيبان بن المخبّل وَيَرُدّه الى ابيه .

ومثل حادثة شيبان وابيه المخبّل ، حادثة خراش وأبيه ، وذاك ان خراشاً غزا مع المسلمين وأوغل في ارض العدوّ .. فقدم ابو خراش (٢) الهذليّ المدينة ، وجلس بين يدي عمر ، وشكا اليه شوقه الى ابنه وانه رجل قد انقرض اهله ، وقُتل اخوته ، ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش هذا ، وقد غزا وتركه . وانشأ يقول :

الا مَـن مبـلغ عـنّى خراشاً وقـد يأتيـك بالنبـأ البعيـدُ
وقـد يأتيـك بالأخبـار من لا تجهّـز بالجـذاء ولا تزيـد(٣)
يناديـه ليغبقـه كَليـبٌ ولا يأتـى ، لقـد سَفُه الوليد(٤)
فردّ إنـاءه لا شـيءٌ فيـه كأنّ دمـوع عينيه الفريـد(٥)
واصبح دون غابقـه وأمسـى جبالٌ مـن حِرار الشام سـودُ(٦)

قالوا : وسمع عمر إنشاده فرقّ له ، وكتب — رضى الله عنه — بأن يُقبل خراش الى ابيه ، وألاّ يغزو من كان له اب شيخ الا بعد ان يأذن له .

ووفد على عمر زرارةُ بن جَزْءٍ ، وزرارةُ صحابيّ جليل عُمّر الى خلافة مروان بن الحكم(٧) ، وفد عليه فتكلّم عنده ، ورفع حاجته اليه ، فاستجاب له عمر ، ويشير زرارة الى ان منطقه هو الذي ألان له نفس عمر ، اذ يقول (٨) :

اتيت ابا حفص ، ولا يسـتطيعه من الناس الا كالسنان طرير (٩)

---

(١) تحوب : تأثم والقصيدة طويلة ؛ انظرها في الأغاني . ١٣ / ١٩٠–١٩١ .

(٢) ابو خراش الهذلى : اسمه خويلد بن مرة : شاعر فحل ادرك الجاهلية والاسلام . مات في خلافة عمر بن الخطاب . نهشته افعى فمات . وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه . انظر الأغاني ؛ ٢١/٢٠٥ .

(٣) في الأغاني : « تزيد وتزود واحد ، من الزاد » .

(٤) الكليب : من الكلب بمعنى الظمأ . ويغبقه : يسقيه مساء ، ومعنى البيت في حاشية الأغاني : « ينادى ابو خراش الظامئ خراشاً ليسقيه اللبن مساء ، فلا مجيب وهذا سفه وعقوق منه » .

(٥) الفريد : اللؤلؤ ؛ شبه به الدمع .

(٦) الهاء في « غابقه » تعود على « كليب» : ابى خراش . والحرار : جمع حرة ؛ الأرض فيها حجارة سوداء أي اصبح بين ابي خراش وساقيه — يعنى خراشاً — جبال . » حاشية الأغاني ؛ ٢١/٢٢٧ .

(٧) انظر الاصابة : ت : ٢٧٨٨ .

(٨) البيان والتبيين ؛ : ١/١٤٧ .

(٩) الطرير : المحدد من الأسنة . ومن الناس ذو الرواء والمنظر .

فوفّقني الرحمـــن لمـــا لقيتـــه وللباب من دون الخصوم صرير
فقلت له قولاً أصاب فؤاده وبعض كلام الناطقين غرور

عمر وشهر عمر في كتب البلاغة والنقد الادبي ، شهرته في العدل .

ونقد الادب قالوا : فلو قلت : « الخليفة العادل » لما تبادر الى الذهن غيره .

ونقول : لو قلت : « الخليفة الناقد » لما تبادر الى ذهن قراء البلاغة والنقد الأدبي غيره ايضاً . يقول ابن رشيق عنه : « وكان عمر — من أنقد أهل زمانه للشعر ، وانفذهم فيه معرفة (١) » . وإننا نقرأ امّهات كتب النقد الأدبي والبلاغة عندنا فنرى اسم عمر بن الخطاب يدور فيها ناقداً كبيراً وبليغاً كبيراً نرى هذا في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ،وفي كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكري، وفي كتاب ،العمدة لا بن رشيق ، وفي كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي وفي كتاب ؛ المثل السائر لابن الأثير ، وغيرها ...

مرّ بنا انه كان محبّاً للشعر حافظاً له ، على انه كان يقول : « الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح (٢) » . ونقده للكلام وللشعر كان ينطلق من هاتين الصفتين : صفة الحسن وصفة القبح فيه ... ونراه في اشاراته المقتضبة يتعرض لألفاظه ومعانيه . وقـــد رجع الى إشاراته هذه كتّاب البلاغة والنقد الأدبي عندنا فاتخذوها أساساً في الكثير من أحاديثهم في البلاغة والنقد . وسنشير الى بعض هذا ونبيّنه في حديثنا هذا عنه .

وقبل ان نأخذ في الحديث عن هذا نبيّن أن عمر كان يعرف ما للبيان من سلطان واثر في نفوس سامعيه وذائقيه ، بحيث كان يخاف على نفسه أنْ يُميله هذا ويعدل به عن الحقّ . قال الجاحظ في البيان والتبيين : « قال بعض الربّانيين (٣) من الأدباء واهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشادق والتعمق و .. ويعرف ادواء الكلام ودواءه ، وما يعترى المتكلّم من الفتنة بحسن ما يقول ، وما يعرض للسامع من الا فتتان بما يسمع : انذركم حسن الألفاظ وحلاوة مخارج الكلام ؛ فان المعنى اذا اكتسى لفظاً حســناً وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً ، ومنحه المتكلّم دلاً متعشّقاً ، صار في قلبك احلى ولصدرك

(١) العمدة ، لابن رشيق : ٣٣/١ . (٢) رسائل الجاحظ ؛ ١٦٠/٢ .
(٣) الربانيين : جمع الربانى : العالم الراسخ في العلم . (حاشية البيان والتبيين : ٢٥٤/١) .

املا . والمعاني اذا كُسيت الألفاظ الكريمة ولبست الأوصاف الرفيعة ، تحوّلت في العيون عن مقادير صورها ، وأربت على حقائق أقدارها ، بقدر ما زُينت وحسب مسا زُخرفتْ ، فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض — جمع معرض ، وهو الثوب تجعل فيه الجارية — وصارت المعاني في معنى الجوار ى . والقلب ضعيف ، وسلطان الهوى قوي ، ومدخل خُدَع الشيطان خفيّ » .

وبعد ان افاض الجاحظ في اهميته الألفاظ ، واهمية حلاوة مخارج الكلام ، وأثرها في معاني اهل البيان ، قال : « فاذكر هذا الباب ولا تنسه ، ولا تفرّط فيه » وكأنه اراد ان يدعم كلامه هذا بالحجة القاطعة ، فلم يجد اولى من ان يقول : « فان عمر بن الخطّاب — رضي الله عنه — لم يقل للأحنف بن قيس ، بعد ان احتبسه حولاً مجرّماً (١) ليستكثر منه ، وليبالغ في تصفّح حاله ، والتنقير عن شأنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد خوّفنا كلّ منافق عليم ، وقد خفتُ أن تكون منهم ، إلاّ لما كان راعه من حسن منطقه ، ومال اليه من رفقه ، وقلّة تكلفه (٢) ...»

وارانا في غير حاجة الى التعليق على قول الجاحظ فيما اشار اليه من ذوق عمر المرهف في احساس أثر البيان في نفسه ، ومن خوفه أن يُميله البيانُ عن الحق والعدل .

وكان عمر يعجبه من الرجل ان يكون بيّناً في منطقه . ويبدو انه كان معجباً بعمرو ابن العاص في هذا . قال محمد بن سلّام الجمحى (٢) : « كان عمر بن الخطاب — رحمه الله — اذا رأى رجلاً يتلجلج في كلامه قال : خالقُ هذا وخالق عمرو بن العاص واحد ! » واذا رأى رجلاً يغرب في كلامه — اي يخلط فيه — قال : اشهد أنّ الذي خلقك ، وخلق عمرو بن العاص واحد (٣) » فكأن عمر يقول هذا تعجّباً منه سبحانه وتعالى أن يخلق النقيض والنقيض او يخلق الضد والضد في المنطق والبيان .

وعمر نفسه كان جيدّ النطق جيّد البيان ؛ يقول الجاحظ ، وهو يتحدث عن اللسان وقدرته على إقامة الحروف ، واهمية ذلك في البيان : « .... فأما الضاد فليست تخرج إلا من الشدق الأيمن ، الا ان يكون المتكلم أعر يسَراً ، مثل عمر بن الخطاب

---

(١) حول مجرم : تام كامل .
(٢) البيان والتبيين ؛ ٢٥٥/١ .
(٣) الحيوان — للجاحظ ؛ ٥٨٧/٥ وعيون الأخبار : ١٧١/٢ ، والبيان والتبيين : ٤٧/١ .

رحمه الله ؛ فإنه كان يخرج الضاد من ايّ شدقيه شاء (١) » . ونحن نذكر هذا لبنيّن أن الرجل اذا كان مصاباً بعاهة ، ربما تجافى الحديث عن هذه العاهة ، بل ربّما رأى الحديث يُجَرُّ به غيرُه فيها، تعريضاً به ،وبعاهته. ومن هنا نرى عمر لا يرى بأساً في الحديث عن هذا وعن الإعلان عنه ، وعن اهميته . تحدّث سهيل (٢) بن عمرو — وكان خطيباً جيد المنطق ،جيد البيان — بحضرة الرسول الكريم ، بحديث لم يرضه الرسول الكريم ولم يرضه عمر ، فقال عمر للنبيّ — صلوات الله عليه — « : دعني انزع ثنيّتي سهيل .، فلا يقوم علينا خطيباً »(٣) . وفي رواية انه قال : « انزع ثنيّتيه السفليين ، حتى يدلع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً ابداً (٤) » .

وهذا ترى عمر يرى المنطق الحسن واخراج حروف الكلم من مخارجها الصحيحة اوّل عدد الخطابة، واوّل عدد البيان . ولعلّ قول عمر هذا هو الذي اوحى الى الجاحظ بالحديث عن اللسان وما يعتريه من عيوب في النطق . وقد فصّل الجاحظ في هذا كلّ التفصيل ، ورآه من الأهمية بحيث جعله الفصل الأول من كتابه « البيان و التبيين». وعقد ابن سنان الخفاجي فصلاً طويلاً عن الحروف في اوّل كتابه : «سرّ الفصاحة» حتى عابه النقاد (٥) لكثرة ما فصل فيه . وربّما كان متأثراً بهذا في منهجه ايضاً .

وعمر كان يحسّ بما للألفاظ في وقعها وإيحائها ، من اهمية وأثر ، حتى كان يرى اسم الرجل وايحاءه في نفس سامعه ، أوّل ما يعطف النفوس عليه ، او يبعدها عنه . وكأنه يشير الى وجوب التسمية بالاسم الحسن الإيحاء ، اذ يقول : « احبّكم الينا احبّكم اسماءً ... » وفي كتاب الصناعتين : جاء ظالمُ بن سرّاق عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ليستعمله فردّه« وقال له كالمتهكّم : انت تظلم وابوك يسرق !؟ » وظالم

---

(١) البيان والتبيين ؛ ٦٢/١ .

(٢) سهيل بن عمرو بن عبد شمس : خطيب قريش ، وهو الذي تولى امر الصلح بالحديبية . وكان من المؤلفة قلوبهم ؛ اعطاه الرسول الكريم مائة من الإبل . مات بالطاعون سنة ثماني عشرة . — الاصابة ، ت : ٣٥٦٦

(٣) البيان والتبيين ؛ ٥٨/١ .

(٤) السيرة لابن هشام ، والإصابة ؛ ت : ٣٥٦٦ .

(٥) في المثل السائر لابن الاثير : « وكتاب سر الفصاحة ، وإن نبه على نكت مثيرة ، فإنه قد اكثر ، مما قلل به مقدار كتابه ، من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها ... مما لا حاجة الى اكثره » — ٤/١ المثل السائر ؛ طبعة محيي الدين عبدالحميد .

ابن سرّاق هذا هو جدّ المهلب بن ابي صفرة (١) . وما كان الرجل ليظلم على الحقيقة ولا كان ابوه ليسرق ، وانما هو ايحاء اسمه هو الذي باعد عمر عن الميل اليه . وقالوا : « لقي عمر بن الخطاب رضى الله عنه مسروق بن الأجدع ، فقال له : من انت ؟ قال : مسروق بن الأجدع . قال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الأجدع الشيطان (٢) . قالوا : واقبل رجلٌ اليه ، فقال عمر : ما اسمك ؟ فقال : شهاب بن حرقة . قال : ممن ؟ قال : من اهل حَرَّة النار . قال : أين مسكنك ؟ . قال : بذات لظىً . قال عمر ، : اذهب فإنّ اهلك قد احترقوا (٣) . »

وقد يكون في هذا الحديث بعض التزيّد ، ولكنه — على ايّ حال — يرينا مقدار إحساس عمر بإيحاء الأسماء او بإيحاء الألفاظ .

ويبدو ان ايمانه العميق كان يوجّهه بما يجعله يحبّ بعض الألفاظ ، ويكره بعضها قالو تزوّج امرأةً كانت تسمى « العاصية » فصيرّ اسمها الى « جميلة » . وواضح أنه كره « العاصية » لأنها توحي بالمعصية وما إليها من الألفاظ تكون غير حسنة الإيحاء عند المسلم المتشرّب بروح الإسلام . وناهيك بما بين ايحاء الإسمين من بَوْن . وعن زيد (٤) بن اسلم عن ابيه ، قال : خرجنا مع عمر بن الخطّاب — رضي الله عنه — الى حرَّة واقم (٥) ، حتى اذا كنّا بصرار (٦) ، إذ نار ، فقال : يا أسلم ! إنى أرى ههنا ركباً قد ضربهم الليل والبرد ، انطلقْ بنا ... فخرجنا نهرول ، حتى دنونا منهم ، فإذا

---

(١) كتاب الصناعتين — لابى هلال العسكري ؛ ص : ١٥٢ وفي العقد الفريد : « ظالم بن سراقة » بدلا من : ظالم بن سراق ٣٠٠/٢ .

(٢) العقد الفريد : ٣٠١/٢ .

(٣) العقد الفريد ، لابن عبد ربه : ٣٠٠/٢ .

(٤) زيد بن اسلم العدوى العمري : ابو اسامة او ابو عبدالله : فقيه مفسر من اهل المدينة . كان مع عمر بن عبدالعزيز ايام خلافته . واستقدمه الوليد بن يزيد في جماعة من فقهاء المدينة ، الى دمشق مستفتياً في امر . وكان ثقة ، كثير الحديث ، له حلقة في المسجد النبوي وله كتاب في التفسير — تذكرة الحفاظ : ١٢٤/١ . وتهذيب التهذيب ؛ ٣٩٥/٣ — والزركلي الاعلام : ٩٥/٣ .

(٥) حرة واقم ؛ واقم : اطم من آطام المدينة . وحرة واقم مضافة اليه .

(٦) والصرار : المكان المرتفع ، وصرار : اسم جبل .

بامرأةٍ معها صبيان ، وقدر منصوبة على نار ، وصبيانها يتضاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يا اصحاب الضوء ، وكره ان يقول : اصحاب النار » وواضح أنه كره هذا ، لدوران هذه العبارة في القرآن الكريم ، ؛ في مثل قوله تعالى : « والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار (١) » وقوله : « بلى من كسب سيئةً ، واحاطت به خطيئته فأولئك اصحاب النار (٢) » . وقوله : « إني اريد ان تبوءَ بإثمي وإثمك فتكون من اصحاب النار (٣) » .

وجاءه رجل يقول إنه يستأذن لأبي عيسى على امير المؤمنين ، فقال عمر : أيّكم ابو عيسى ؟ قال المغيرة بن شعبة : انا ، فقال عمر — كالمستنكر ذلك عليه — : وهل لعيسى من أب !؟ اما يكفيكم معاشر العرب ان تكتنوا بأبي عبدالله وابي عبدالرحمن !؟ قالوا : وكنّاه : ابا عبدالله (٤) » .

وسمع منادياً ينادى : ياذا القرنين ! فقال عمر — كالمعنّف له : أفرغتم من اسماء الأنبياء فارتفعتم الى اسماء الملائكة ؟!

هذا حسُّه — رضى الله عنه — في الألفاظ وايحائها . وقد يكون في بعض هذه الروايات ما تُزيّد فيه ، ولكنه ، حتى في حالة التزيّد ، يرينا ما لحظوه من احساس عمر في الألفاظ وتأثره بإيحائها .

واذا نحن جاوزنا الألفاظ الى المعاني ، رأيناه يوجّه الى ما يجعل التعبير واضحاً ، ولا اثر فيه لتعميةٍ أو غموض . سأل رجلاً مرةً عن شيئ ، فقال الرجل : الله اعلم . فقال عمر : « قد خزينا إن كنا لا نعلم أنّ الله اعلم . إذا سئل احدكم عن شيئ ؟ ، فإن كان يعلمه قاله ، وإن كان لا يعلمه قال : لا علم لي بذلك(٥) » . وسمع رجلاً يقول : اللهمّ اجعلني من الأقلّين ! قال عمر : ما هذا الدعاء !؟ فقال الرجل : إني سمعت الله عزّ وجل ، يقول : « وقليل من عبادى الشكور » وقال : « وما آمن معه إلا قليل » . قال عمر : عليكم من الدعاء بما يُعرف .

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٣٩ .
(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٨١ .
(٣) سورة المائدة ؛ الآية : ٢٩ .
(٤) الأغاني ؛ ٨٨/١٦ .
(٥) كتاب الحيوان للجاحظ ؛ ٣٣٨/١ .

وامتدح عمر زهير بن ابى سلمى ، وسمّاه شاعر الشعراء ، لوضوح شعره . يروي ابن عباس ان عمر قال له : هل تروي لشاعر الشعراء ؟ : قال : قلتُ ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

ولو ان حمـــداً يُخلِد النـــاس أخلـــدوا
ولكـــنّ حمـــد النـــاس ليس بمُخلـــد

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شاعر الشعراء ! قلت : وبم كان شاعر الشعراء ! ؟ قال : لأنه لا يعاظل في الكلام ويتجنّب وحشيّ الشعر (١) » .

وفي رواية اخرى ؛ قال ابن عبّاس : « خرجت مع عمر في اول غزوة غزاها ، فقال لي ذات ليلة : يا ابن عبّاس ! انشدني لشاعر الشعراء . قلت : ومَن هو يا امير المؤمنين ؟ قال : ابن ابي سلمى . قلت : وبم صار كذلك !؟ قال : لأنه لا يتتبّع حوشيّ الكلام ، ولا يعاظل في المنطق ، ولا يقول الا ما يعرف . ولم يمدح الرجلَ الا بما فيه اليس الذي يقول :

اذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية من المجد مـــن يسبق اليها يُسوَّد
سبقتَ اليها كلَّ طلْقٍ مُبـــرِّزٍ سَبُوقٍ الى الغايات غير مُزَنّد (٢)
كفعل جواد يسبق الخيلَ عفْوُه السـ ـّراعَ وإن يَجْهَدْ ويجهدْنَ يبعُدِ (٣)

ولو كان حمدٌ يخلـــد الناس لم تمتْ
ولكنّ حمـــد النـــاس ليـــس بمُخْلِد

---

(١) الأغاني ؛ ٢٨٩/١٠ .

(٢) يقال : رجل طلق اليدين : اذا كان معطاء . وظاهر انه يريد ان يصف الجواد بأنه ماض يجود بما عنده من العدو . والمبرز : الذي سبق الناس الى الكرم والخير . والمزند هنا : البخيل او اللئيم .
ويروى البيت « غير مجلد» اي ينتهى الى الغايات من غير ان يجلد او يضرب . حاشية الأغاني ؛ ٢٩١/١٠

(٣) وفي الديـــوان :

كفضل جواد الخيل يسبق عفوه الـــ
سراع وإن يجهدن يجهد و يبعـــد

انشدني له ، فأنشدته حتى برق الفجر (١) »

وقد ذهب النقّاد مذاهب في تحديد معنى « المعاظلة » هذه في كلام عمر . قال الأصمعي : يعاظل بين الكلام يداخل فيه . وقال العسكريّ : « فمن سوء النظم المعاظلة وقد مدح عمر بن الخطاب زهيراً لمجانبتها » وقال : « واصل هذه الكلمة من قولهم : تعاظلت الجرادتان : اذا ركبت احداهما الأخرى (٢) » ثم ساق ابو هلال امثلة للمعاظلة توضّحها ، في رأية ، من شعر الفرزدق .

وقال ابو هلال : « وقال قدامة (٣) : لا اعرف المعاظلة إلاّ فاحش الاستعارة مثل قول أوْس :

وذات هـــدم عـــار نؤشرهـــا

تصمت بالمـــاء تولبـــاً جَدِعـــا

فسمىّ الصبيّ تولباً ، والتولب : ولد الحمار » قال ابو هلال : وهذا غلط من قدامة كبير؛ لأن المعاظلة في اصل الكلام إنما هي ركوب الشيئ بعضه بعضاً ، وسمي الكلام بـــه إذا لم يُنضّد نضداً مستوياً ... والدليل على ما قلنا أنك لا ترى في شعر زهير شيئاً من هذا الجنس ، ويوجد في اكثر الفحول ، نحو ما نفاه عنه عمر رضى الله عنه(٤) »

وقال ابن سنان الخفاجي : « ومن وضع الأ لفاظ موضعها اللائق بها ، ألا يكون الكلام شديد المداخلة ، يركب بعضه بعضاً . وهذه هي المعاظلة التي وصف عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — زهير ابن ابى سُلمى بتجنّبها ، فقال : كان لا يعاظل بين الكلام . وردّ على قدامة ايضاً ، وقال : وبيّن خطأه فيها ابو القاسم الحسن بن بشر الأمدى رحمه الله (٥) » .

---

(١) الأغاني ؛ ١٠/٢٩٠–٢٩١ .

(٢) كتاب الصناعتين ؛ ص : ١٦٢ .

(٣) قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي : كاتب من البلغاء الفصحاء ، المتقدمين في علم المنطق والفلسفة . كان في ايام المكتفى بالله العباسي . توفى ببغداد ، ويضرب به المثل في البلاغة له كتب ، منها : « نقد النثر » و « نقد الشعر » و « جواهر الألفاظ » — انظر : النجوم الزاهرة : ٣/٩٧ وارشاد الأريب : ٦/٢٠٣ — ٢٠٥ ، والأعلام — للزركلي ؛ ٦/٣١ .

(٤) كتاب الصناعتين : ١٦٣ .

(٥) سر الفصاحة — لابن سنان الخفاجي ، ص : ٨٣ .

وتحدث ابن الأثير في هذا ، في « المثل السائر » ، وقسم المعاظلة الى لفظيّة ومعنوية ، قال : « ووصف عمر بن الخطّاب — رضى الله عنه — زهير ابن ابى سُلمى فقال : كان لا يعاظل بين الكلام (١) » قال ابن الأثير : « وقد اختلف علماء البيان في حقيقة المعاظلة » واورد رأي قدامة ابن جعفر (٢) ، ورأي أبى هلال العسكري ، وبيّن ميله الى رأي ابى هلال ثم شرحَ المعاظلة بتفصيل غير قليل ؛ اذ قسم المعاظلة الى لفظية ومعنويّة ، وراح يشرح المعاظلة المختصة بأدوات الكلام ؛ في الحروف وفي حروف الجرّ خاصة ، ويشرحها في تكرير الحروف في اللفظة الواحدة » وفي الألفاظ يضاف بعضها الى بعض ، ويشرحها في المنافرة بين الألفاظ في السبك ، وقد استغرق هذا صفحات كثيرة من كتابه المثل السائر (٣) . هذا كله في المعاظلة اللفظية اما المعاظلة المعنوية فأدارها في ابواب متفرقة من كتابه .

اما الحديث عن وحشي الألفاظ ، فقد جعله مؤلفو البلاغة في مقدمة احاديثهم عن الفصاحة . وقلّ ان تجد كتاباً من كتبهم في البلاغة والنقد الأدبي ، لا يُطيل الحديث عن الألفاظ الوحشية والغريبة . ونرى من الاطالة ان نتعقب هذا في كتبهم (٤) .

ونعود الى عبارة عمر — رضى الله عنه — في زهير « : ولم يمدح الرجل الا بما فيه فنرى لها جانبين ؛ جانب اخلاقي وجانب فني . ونحن نقدّم الجانب الأخلاقي على الجانب الفنّى ، لأن عمر ، كما مرّ بنا في سيرته ، تفضله على الجانب الفنّى ، وقد رأيناه يكتب للمغيرة بن شعبة (٥) بأن يعنى بتدوين الشعر الإسلامي خاصة ، هذا مع علمه ، وهو البصير بالشعر ، بأن في الجاهليّ ما هو افضل ، من الناحية الفنيّة ، منه . ثم رأيناه يثيب لبيد بن ربيعة حين كتب شيئاً من سورة البقرة ، وأعطاه للمغيرة ،وقال : « إن الله — سبحانه وتعالى — عوّضه بالقرآن عن الشعر . نقول : إن عمر فضّل زهيراً ؛ لأنه يمدح الرجل بما فيه ، فيكون الشاعر في هذه الحالة . صادقاً صدقاً اخلاقياً ،

(١) المثل السائر : ٢٩٢/١ طبعة محيى الدين عبد الحميد .
(٢) انظر نقد الشعر — لقدامة بن جعفر — طبعة الجوائب ؛ ص : ٦٩ .
(٣) انظر « المثل السائر » : ٢٩٢/١ — ٣١٠ طبعة محيي الدين عبدالحميد
(٤) انظر « المثل السائر » : ١/ ١٥٥—١٦٨ طبعة محيي الدين عبدالحميد .
(٥) انظر ص ٥٦ من هذا المقال .

وصدقاً ادبيّاً او فنيّاً ايضاً . ومعلوم ان الشاعر حين يقول وهو يدرى أنه كاذب فيما قال لا تكون لعاطفته او لنفسه هذا الحماس الذي يدفعه الى القول ، و الى الإجادة فيه . قالوا : سئل ابن المقفّع عن قول عمر رحمه الله : « ما يتصعّدني (١) كلام كما تتصعدني خطبة النكاح » فقال : ما اعرفه إلا ان يكون اراد قرب الوجوه من الوجوه ، ونظر الحدق من قربٍ في اجواف الحدق ، ولأنه اذا كان جالساً معهم ، كانوا كأنهم نظراء او اكفاء . فإذا علا المنبر صاروا سوقة ورعيّة . قال الجاحظ : « وقد ذهب ذاهبون الى أنّ تأويل قول عمر ، يرجع الى أنّ الخطيب لا يجد بدّاً من تزكية الخاطب فلعلّه كره أن يمدحه بما ليس فيه ، فيكون قد قال زوراً ،وغرّ القوم في صاحبه (٢)

ونحن أميل الى الرأي الذي ساقه الجاحظ على لسان هؤلاء الذاهبين غير المذهب الذي ارتضاه ابن المقفع ؛ ذلك لأنه يتسق وما يرتضيه عمر من الناحيتين ؛ الخُلقية والفنيّة . اما رأي ابن المقفع وفحواه : ان عمر يهون عليه أن يخطب الناس اذا كان على المنبر ، وكأن الناس سوقة او رعيّة . وتشق عليه مخاطبتهم اذا كانوا اكفاءً ، ورآهم والوجوه قريبة من الوجوه ، والحداق تنظر في اجواف الحداق ، كما يقول الجاحظ ، فلا نراه يتسق مع شخصيّة عمر الجريئة غير الهيّابة . لقد كان يدلى برأيه ، حين يرى فيه الصدق والحق . وقد كان لا يمنعه من هذا ان يكون الرأي مخالفاً الرسول الكريم صلوات الله عليه ، مع ما للرسول الكريم في نفس عمر (٣) .

وفي الأغاني : « قال اسحق ... عن الشعبى ، قال : رأيت دَغْفَلاً النسّابة يحدّث أنه رأى العباس بن عبدالمطلب ، سأل عمر عن الشعراء ، فقال : « امرؤ

---

(١) تصعده الأمر تصعداً : شق عليه ؛ كتصاعد به .

(٢) البيان والتبيين ؛ ١١٧/١ .

(٣) انظر حديثنا عن عمر والرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في مقالنا السابق . وانظر مخالفة عمر للرسول الكريم وابى بكر رضى الله عنه ، في شأن اسرى بدر ، وموافقة القرآن الكريم لرأى عمر ، في سيرة عمر بن الخطاب – لابن الجوزي ؛ ص : ٣٥ .وانظر حديث عبدالله بن ابى ، المشهور بابن سلول ؛رأس المنافقين في الإسلام من اهل المدينة . كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم . أظهر الأسلام – تقية – بعد وقعة بدر . وكلما سمع بسيئة على المسلمين نشرها.ولما مات تقدم النبي (ص) فصلى عليه ، ولم يكن ذلك من رأى عمر ، فنزلت الآية الكريمة : « ولا تصل على احدمنهم مات ابداً ولا تقم على قبره ، انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » التوبة ؛ الآية : ٨٣ .

القيس سابقُهم ؛ خسف لهم عن الشعر فافتقر عن معان عور اصحّ بصراً » ثم يأخذ ابو الفرج في تفسير قول عمر هذا وبيانه ، فيقول : قال اسحق : معنى خسف : احتفر . وهو من كندة من اليمن وليست لهم فصاحة مُضَر ، ولا شعرهم بجيّد . فجعل معاني اليمن معانيَ عوراً ، وما قاله : اصحّ بصراً أي اجود شعراً . ومعنى افتقر : احتفر . والفقيرة : الحفيرة تحفر للفسيلة لتغرس . وكلّ ما ابتدأت حَفَرْتَه فهو فقير . والمعنى : أنه قال شعراً جيداً ، وليس هو في معنى شعر مضر (١) » .

ويجري النقاد في ريح عمر في هذا ، على نحو ما ساروا في امر حديثه عن المعاظلة ؛ يقول ابن رشيق « وقد قال العلماء بالشعر : ان امرأ القيس لم يتقدم الشعراء ، لأنه قال مالم يقولوا ، ولكنّه سبق الى اشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها . لأنه قيل : اوّل من لطّف المعاني ، واستوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض ، وشبّه الخيل بالعِقبان والعصيّ ، وفرّق بين النسيب وما سواه من القصيدة ، وقرّب مأخذ الكلام فقيّد الأوابد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه (٢) » .

وفي حديث للشعبيّ (٣) أنّ عبدالملك بن مروان — قال له : ما تقول في النابغة ؟ ، قال : قلت يا امير المؤمنين ! قد فضّله عمر بن الخطاب في غير موطن على الشعراء اجمعين ، وببابه وفد غَطَفان ، فقال : يامعشر غَطَفان ، أيّ شعرائكم الذي يقول :

حلفتُ فلم اترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنتَ قد بُلِّغت عنّي خيانةً ... لمبلغُك الواشي اغشُّ وأكذب

ولستَ بمستبقٍ اخاً لا تلمُّه ... على شعثٍ . أيُّ الرجال المهذَّبُ ؟!

قالوا : النابغة ، يا امير المؤمنين .

قال : فأيكم الذي يقول :

---

(١) الاغاني ؛ ١٩٩/٨ . وانظر العمدة لابن رشيق ؛ ٩٤/١ .

(٢) العمدة ؛ ٩٤/١ .

(٣) الشعبي : عامر بن شراحيل ، راوية من التابعين . يضرب المثل بحفظه . اتصل بعبدالملك بن مروان ، وكان سميره ورسوله الى ملك الروم . وهو من رجال الحديث الثقات . استقضاه عمر بن عبدالعزيز . وكان فقيهاً شاعراً — انظر : تأريخ بغداد : ٢٢٧/١٢ توفي في اوائل القرن الثاني الهجري .

فإنك كالليـــل الذي هـــو مدركي وإن خلتُ انّ المنتأى عنك واســع
خطاطيفُ حجن في حبال متينة تمدُّ بهـــا ايـــدٍ اليـــك نوازع

قالوا : النابغة . قال : فأيّكم الذي يقول :

الى ابن مُحرّقٍ أعملـــتُ نفسي وراحلـــتي وقد هَـــدَت العيـــون
اتيتك عاريـــاً خَلَقاً ثيـــابي على خـــوف تُظَنُّ بـــي الظنون
فألفيتُ الأَمانـــةَ لم تخنهـــا كذلك كان نـــوحٌ لا يخـــون

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : هذا اشعر شعرائكم (١) » .

ويحسّ القارئُ من اوّل الحديث أن الشعبي يتابع عمر في رأيه ، ويقول وكأنه يؤكّد ما رآه عمر : «فضّله في غير موطن» ويأتي بلفظة « اجمعين » بعد الشعراء يؤكدها بها ، ثم لا يلبث أن يذكر الأبيات المختارة للنابغة ، وقد أنشدها عمر ، وفضّله من اجلهـــا .

وننظر فيها الآن ، فنرى البيتين الأولين في الإعتذار ، وقد اشاع فيهما العاطفـــة والأسف ، والبيت الثالث يحار القارئُ في نسبته الى فنّ من فنون الشعر عندهم . ولـــه ان يقول : إنه في الإعتذار ايضاً ، إذا انّ النابغة يريد أنّه قد زلّ ، ومَن ذا الذي لا يزلّ ولا يهفو ؟ وهو في الوقت ذاته رجاء ودعوة لتجاوز الزلّة ؛ لأن من يسلك غير هذا لا يُبقي على اخ او صديق لنفسه ؛ فالبيت بهذا حكمة ونصيحة ايضاً .

ولقد اعجب النقاد العرب ببيت النابغة هذا ، حتى قال عنه العسكريُّ ؛ ابـــو هلال ، وقد امتلأت نفسه إعجاباً به ، : «وليس لهذا البيت نظيرٌ في كلام العرب (٢)

والبيتان التاليان شِيبَ فيهما الإعتذار بالمديح ؛ إذ صوّر نفسه خائفاً ، توهمه الفجاج الواسعة ، وتغريه بأن يمعن في الهرب ، ويبعد عن وجه طالبه . وصوّر طالبه ، وقـــد تناهت قوته وتناهى حوله كالليل يغشى كلّ كائن ، ولا منجى منه لهارب مهما اتسعت سبله واتسعت فجاجه . وهو بقوله الموجز هذا يصوّر صورتين ؛ احداهما هاربة ، تناهى فيها الخوف . وتناهت فيها الحيرة ؛ حتى لاتستطيع ان تستقر ، واخرى تتعقبها

(١) الأغاني : ١١/٢٢.
(٢) كتاب الصناعتين ؛ ص : ٧٥ .

وتتبعها ، وهي من الحول والقوة بحيث لا يفوتها شيئٌ ، ولا يعجزها شيئٌ . وأيُّ اعتذار وأيّ مديح ابعد من هذا !؟ .

والأبيات الثلاثة الأخيرة هي اعتذار يستلُّ السخيمة ويستدرّ العطف .

وهكذا ترى عمر رأى النابغة اشعر الشعراء باعتذارياته هذه ، او بمديحه هذا . وعندنا أنّ النقاد جروا بريح عمر ، واخذوا برأيه حين قالوا : « إن النابغة اشعر الشعراء اذا رهب (١) »

ومن مواقف عمر في النقد ، أن يُتحاكم اليه — وهو الخليفة العادل — في الهجاء. روى ابو الفرج الإصبهاني حديثاً طويلاً في اخبار هجاء الحطيئة للزّبرقان بن بدر. واستعداء الزبرقان عمر عليه . وملخّصه : أن الرسول الكريم كان ولى الزّبرقان بن بدر عملاً ... واقرّه ابو بكر — رضى الله عنه — عليه . ثم قدم على عمر في سنةٍ مجدبة ليؤدي صدقات قومه ، فلقيه الحطيئة وشكا اليه السّنة ، فبعثه الزّبرقان الى قومه فأكرموا وفادته . وكان آل بغيض بن عامر بن شمّاس ينازعون الزّبرقان الشرف ، وكانوا اشرف منه ، إلاّ أنه استعلاهم بنفسه . وطلبوا الى الحطيئة — وكان رسولهم اليه شمّاس بن لأي وبغيضَ بن شمّاس — ان يتحوّل عن آل الزبرقان اليهم وتردّد الحطيئة في هذا ، ثم تحوّل اليهم ، وقال سينيته التي يهجو بها الزّبرقان ، ويناضل عن بغيض ، وفيها :

والله ما معشرٌ لاموا امرأً جُنُباً ... في آل لأى بن شمّاس بأكياس(٢)
ما كان ذنب بغيضٍ لا أبالكمُ ... في بائسٍ جاء يحدو آخر الناس
لقد مريتكمُ لو أنّ دِرّتكم ... يوماً يجيئ بها مسحي وابساسي(٣)
وقد مدحتكم عمداً لأُرشِدكم ... كيما يكون لكم منحي وإمراسي(٤)
لما بدا لي منكم عيبُ انفسكم ... ولم يكنْ لجراحى فيكم آسي
أزمعتُ يأساً مُبيناً من نَوالكمُ ... ولن يُرى طارِداً للحُرّ كاليأس
جارٌ لقومٍ أطالوا هُونَ منزله ... وغادروه مقيماً بين ارماس

(١) كتاب الصناعتين ؛ ص : ٢٣ . والعمدة ١/٩٥ .
(٢) الجنب : الغريب .
(٣) مري الناقة : مسح ضرعها لتدر . والإبساس : أن يسكنها عند الحلب .
(٤) الماتح : المستقى الذي يجذب الدلو من فوق . والإمراس : ان يقع الحبل في جانب البكرة فيخرجه .

ملّوا قِراه وهَرَّتْه كلابُهُـــم وجرّحـــوه بأنيابٍ وأضراس
دع المكارم لا ترحـــل لبُغْيتهـــا واقعدْ فإنّـــك انت الطاعِم الكاسي
من يفعل الخير لا يَعْدَمْ جَوازِيَه لايذهب العُرف بين الله والنـــاس
ما كان ذنبيَ أن فلّتْ معاولكم من آل لأيٍ صَفاةٌ أصلُها راسي
قد ناضلوك فسَلّوا مـــن كنائنهم مجداً تليداً ونَبْلاً غيرَ أنْكاسِ(١)

قالوا : فاستعدى عليه الزّبرقانُ عمرَ بن الخطاب ، فرفعه عَمر اليه واستنشده فأ نشده ، وقال : إنه هجاني ، وقال لي :

دع المـــكارم لا ترحـــل لبغيتهـــا
واقعـــد فإنّـــك انـــت الطاعم الكاسي

ويبدو ان هذا البيت، كان اوجع ابيات القصيدة هجاءً للزّبرقان . . . قالوا : فقال عمر : ما اسمع هجاءً ، ولكنها معاتبة . فقال الزبرقان : أوَما تبلغ مروءتي إلاّ ان آكل والبس !؟ فقال عمر : عليَّ بحسّان . فجيئ به ، فسأله فبيّن أنه نال منه وقسا عليه في الهجاء ، وقالوا : إن عمر سأل لبيد (٢) بن ربيعة عن ذلك ، فقال : ما يسرّني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه ، وأنّ لي حُمْرَ النّعَم (٣) . فأمر عمر بحبس الحطيئة فحُبس ، وصار يستعطف عمر بالشعر من سجنه ، وعمر لا يلتفت اليه ، حتى قال ابياته التي فيهـــا :

ماذا تقول لأفـــراخ بـــذى مَـــرَخٍ
زُغـــب الحواصل لا مـــاءٌ ولا شـــجر (٤)

---

(١) انكاس : جمع نكس ، وهو اضعف السهام . وفي « اللسان » : ومعنى البيت ان العرب كانوا اذا اسروا أسيراً خيروه بين التخلية وجز الناصية ، وبين الأسر ، فإن اختار جز الناصية جزوها وخلوا سبيله ، ثـــم جعلوا ذلك الشعر في كنائنهم ، فإذا افتخروا اخرجوه واروه مفاخرهم . وانظر حاشية الأغاني ؛ ٢/١٨٥

(٢) لبيد بن ربيعة بن مالك : احد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، من اهل عالية نجد . وفد على النبي الكريم واسلم ، وترك الشعر في الإسلام . سكن الكوفة وعمر طويلا . وهو احد اصحاب المعلقات .

(٣) النعم : الإبل والشاء ، او خاص الإبل ، وحمر النعم : كرائمها وجيادها .

(٤) ذو مرخ : واد بالحجاز . وزغب الحواصل ، ويروى : « حمر الحواصل » يريد خلو جلودها من الريش لقرب عهدها بالحياة .

ألقيتَ كاسبهم في قعر مظلمةٍ
فاغفرْ عليك سلام الله يا عمر

فأخرجه ، وقال له : ايّاك وهجاء الناس ، قال : اذاً يموت عيالي جوعاً ؛ هذا مكسبي ومنه معاشي . قال : فإيّاك والمُقذِع من القول ، قال : وما المقذع ؟ قال : أن تُخاير بين الناس ؛ فتقول : فلانٌ خير من فلان ، وآل فلان خيرٌ من آل فلان . قال : فأنت — و الله — اهجي منّي . فقال عمر : والله لولا ان تكون سُنّة لقطعت لسانك ولكنْ اذهبْ فأنت له . خذْه يازبرقان . فألقى الزّبرقان في عنقه عمامةً فاقتاده بها ... (١) »

ونظر في ابيات الحطيئة هذه فنراها في جملتها هجاءً بتعريتهم من إكرام الضيف ، ونعتهم بالبخل . وقد بالغ في وصفهم بالبخل الذي بيّن انه صفة لازمة لهم ، وانه حاول جاهداً ان يزحزحهم عنه ، فعل الحالب تستعصي عليه الناقة بدرّها فيروح يغريها بمسح ضرعها ، ثم يزيد بأنه مدحهم ليغريهم بالكرم ، ولكن مديحه هذا لم يؤثّر فيهم ، ولم يزحزحهم عن بخلهم .

وانه حين يئس منهم ، ومن كرمهم ، لم يجد بداً من ان يعود الى نفسه ويقنعها باليأس من نوالهم ، فيتركهم بعد ان ملّوا قِراه وهرّته كلابهم ، وجرّحوه بأنياب و اضراس .

ثم يختم حديثه بشيءٍ من التهكّم اللاذع الموجع ، بقوله :

« دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... »

وبعد ان يبالغ في وصفهم بالبخل ، ويعنّفهم ابلغ التعنيف على هذا ، يعود فيهجوهم بالمقذع من الهجاء ، على النحو الذي اشار به عمر رضى الله عنه — وذلك بأن يقارنهم بآل شمّاس ؛ اولئك الذين بزّوهم وغلبوهم فخاراً . وان معاول بني العجلان قد فُلّت حين لاقت صفاة راسية من آل شمّاس . وانهم بمناضلتهم لهم لاقوا « مجداً تليداً ونبلاً غير انكاس » فبيّن أنهم تناهوا في البخل وفي الضعة ، على حين تناهى آل شمّاس بالكرم ، وبالمجد النليد .

---

(١) الأغاني ؛ ١٨٦/٢ .

هذه واحدة ! والثانية ان تميم (١) بن مقبل استعداه على النجاشيّ (٢) ، لأنه قال في قومه ؛ بني العجلان ، يهجوهم :

اذا الله عادى أهل لؤم وذلّة

فعادى بني العجلان ؛ رهط ابن مُقبل

فقال عمر : انما دعا ؛ فإن كان مظلوماً استجيب نه ، وإن كان ظالماً لم يستجب لـه .

فقالوا : إنه قال :

قبيّلةٌ لا يغدرون بذمّـةٍ

ولا يظلمون النـاس حبّة خردل

فقال عمر — رضى الله عنه — ليتني من هؤلاء ! أو قال : ليت آل الخطّاب كذاك !

قالوا : فإنه قال :

ولا يـردون المـاء إلاّ عشـيّةً

إذا صـدر الـورّاد عن كلّ منهل

قال عمر : ذاك اقلّ للسكاك ؛ يعنى الزحام . قالوا : فإنه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم

وتأكل من كعب بن عوف ونهشـل

فقال عمر : كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه . قالوا : فإنه قال :

ومـا سُـمّيَ العجـلان إلا لقولهم :

خذْ القَعْبَ و احلبْ أيّهـا العبـدُ واعجل

فقال عمر : كلّنا عبيد الله ! وخير القوم خادمهم . قالوا : وقال :

---

(١) تميم بن مقبل : شاعر جاهلي مخضرم . ادرك الإسلام واسلم ، وعاش نيفاً ومئة سنة ، وكان يهاجي النجاشي الشاعر .

انظر : ابن سلام في كتابه : طبقات الشعراء ؛ ص : ٣٤ .

(٢) النجاشي : قيس بن عمرو بن مالك . شاعر هجاء مخضرم ؛ اشتهر في الجاهلية والإسلام . اصله من نجران باليمن . انتقل الى الحجاز ، واستقر بالكوفة ، وهجا اهلها . ضربه علي — رضى الله عنه — على السكر في رمضان . وله مدائح في معاوية توفى نحو سنة ٤٠ هـ .

انظر : « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ، ص : ١١٥ .

اولئك اولاد الهجين واســـرة الـــ

ليئـــم ، ورهط العاجز المتذلّل

قال عمر : أما هذا ، فلا أعذر عليه . وحبس الشاعر ، وضربه ، وأنذره لئن عاد ليضاعفنّ له العقاب (١) » .

وفي رواية : أنّه سأل حسّان بن ثابت ، فبيّن انه هجاهم أشدّ الهجاء .

قال ابن رشيق : « وكان عمر — رضى الله عنه — ابصر الناس بما قال النجاشيّ ، ولكنه اراد ان يدرأ الحدّ بالشبهات» فلما قال حسّان ما قال ، سجن النجاشيّ ، وقيل: إنه حدّه (٢) »

ولنظر في ابيات النجاشيّ هذه ، والنجاشيّ شاعر بصير بالهجاء ، فنراه ينحي باللائمه على بني العجلان ؛ رهط ابن مقبل ، اذ يجعلهم « اهل لؤم وذلّة » . ولعلّ لفظة «الذلة » اوجع في الهجاء للجاهليّ الذي لم تتملأ نفسه بروح الإسلام . ومن هنا نرى النجاشيّ — وهو البصير بالهجاء — يجاور اللفظة الثانية في بيته ؛ لفظة « اللؤم » التي قرنها ، ويروح يمعن في الإفاضة بالمعاني التي تنطوي عليها « الذلّة » فيتبع حديثه في البيت الأول بحديثه في البيت الثاني الذي يبدؤه بلفظة : «قبّيلة» بالتصغير ، والتصغير عندهم ، يدل — في الغالب — على التقليل والتحقير ايضاً ، ثم يتبع وصف «القبيّلة» هذه بشرح واف ، هو مديح عند المسلمين الذين تملأوا بروح الإسلام . ولكنه هجاءٌ ، اوجع الهجاء عند الذين ظلّوا على مُثُلهم العربية الجاهليّة ؛ إن الكثرة عندهم عنوان العزّة والمنَعة والقوة ، ومشهور قولهم : « وانما العزّة للكاثر » ومشهور قول عمرو بن كلثوم في فخره بمعلّقته :

ملأنا البرّ حتى ضاق عنّا

وماءَ الجر نملؤه سفينا

---

(١) انظر : « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ؛ ٢٩١/١ ، وانظر العقاد ؛ في كتابه : « عبقرية عمر » ؛ ص : ٢٨٩ .

(٢) العمدة — لابن رشيق : ٥٢/١ .

وشطر بيت النجاشيّ : « ولا يظلمون الناس حبّة خردل » مديح عند المسلم ولكنه اوجع الهجاء ايضاً عند الجاهليّ ؛ لأن الظلم عنده عنوان القوة والغلبة ايضاً . وعمرو ابن كلثوم يفتخر ايضاً بأن يقول :

نُسمّى الظالمين وما ظلمنا
ولكنّا سنبدأ ظالمينا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها
ونبطش ، حين نبطش ، قادرينا

والبيت الثالث . هو هجاء بالروح الجاهليّة ايضاً ؛ فهم لا يردون الماء إلاّ بعد ان ينقضي النهار ، ويصدر الورّاد عن الماء . لأنهم لا يستطيعون مزاحمة الورّاد ، وما يفعل هذا عندهم الا الذليل . وعمرو بن كلثوم يفتخر ايضاً بأن يقول :

ونشرب إن وردنا الماء صفواً
ويشرب غيرنا كدراً وطينا

فيعبر عمرو بهذا الى أنهم هم الذين يسبقون الناس الى الماء ، وإلى ورده ، وأنهم ، لكثرتهم ، لا يتركون للقوم وراءهم الا الكدر والطين . وعلى هذا فكأن قول النجاشيّ هذا ، انما هو تتمة لمعنى « الذلّة » التي ابتدأها في البيت الأول .

والبيت الذي يليه ، وفيه عبارة : « خذ ... أيها العبد » فيها الهجاء الموجع بصيغتها بلهجة الأمر ، وبمعناها ايضاً ، ولكن عمر — رضى الله عنه — أحالها الى معنى آخر ؛ قلبها به من الهجاء الى المديح ؛ بقوله : « كلّنا عبيد الله ، وخير القوم خادمهم »

اما البيت الأخير فهو هجاء عند الإسلاميين والجاهليين على السواء ، ولذلك لم يعذر عمرُ الشاعرَ عليه ، ورآه يستحق الجزاء ؛ وهو الحبس والضرب ، بسببه .

وبعدُ ، فقد افضنا في التعليق على ابيات الهجاء هذه ؛ لأن المعاني فيها كانت في غاية الوضوح عندهم ، في ايام عمر — رضى الله عنه — ولعلّها ليست كذلك في ايامنا هذه .

جميل سعيد